

كلمة العدد:

في سبيل تأليف أسرة تحرير ذات مصداقية

بقلم : عبد القادر الهادي

الإتحاف -اليوم- في عامها الثاني والعشرين من الصدور المنتظم، الذي سهرت عليه أسر فاق عدد أفرادها الثلاثين فردا، وآخر أسرها تلك التي تألفت منذ عامين من مبدعين من إقليم الشمال الغربي: سليمان والكاف وجندوبة وباجة، تحمل جميعهم المسؤولية بجدارة وبإخلاص وبتفان، وناهم -جميعا- نصب الترحال للاجتماع - دوريا- في عواصم ولايات الشمال الغربي، فاستحقوا بذلك الثناء والشكر والعرفان مثلما استحق ذلك إخوانهم الذين سبقوهم في تحمل الأمانة على مدى عشرينيتين كاملتين حققت الإتحاف - خلاهما- مع جميعهم ما هي به ترفل اليوم في ثوب العز والفخر، وما هي به تتجهز اليوم وغدا لمواصلة البذل من أجل مزيد المساهمة الجادة في تأييد الحركة الثقافية في تونس الأنس، تونس التغيير المجد.

وبما أن الناس يختلفون من حيث ظروف عملهم وتباين أوقات فراغهم، فقد بدا أنه من الأفضل ترك مسألة الانضمام إلى أسرة التحرير للتقدير الشخصي مع الأخذ في الاعتبار ما أصبحت الإتحاف تحتاجه من حضور بمقرها مرة في الأسبوع على الأقل ومن المساهمة في تأييد محتواها مرة كل شهرين في الحد الأدنى، حتى إذا أمكن أن تكون

حصى الحضور أكثر عدداً ، والمساهمة في التحرير أوفر حظاً، كان ذلك - بالتأكيد- أكثر جدوى وأبعد أثراً في مصداقية المجلة من حيث انتظام الصدور وحضورها لدى القراء في المواعيد المحددة، كذلك في تنوع وثراء محتواها.

من أجل ذلك كله فإننا نحب بكل من يرغب في الانضمام لأسرة التحرير، من أصدقاء الإتحاف القدماء الذين سبق وكانوا ضمن واحدة من أسرها في الماضي أو من الأصدقاء الجدد الذين يرجى أن يصبحوا من طاقمها، من أولئك وهؤلاء الذين يأنسون أن تسمح لهم ظروف عملهم وأوقات فراغهم أن يكونوا ضمن أسرة التحرير الجديدة للمزعم بعثها مع بداية السنة الإدارية القادمة، نلح عليهم أن يتكرموا ويشعرونا بذلك ، وسنكون لهم من الممنونين والمباشرين من الشاكرين.

رجاؤنا أن نكون - بهذا الإجراء- قد توفقتنا إلى تأليف أسرة تحرير ذات مصداقية قصوى، أساسها امتلاك القدر الكافي من الوقت الحرّ اللازم للبذل الدائم والعطاء المستمر، وفي ذلك كله ما من شأنه أن يدفع بالإتحاف إلى مزيد من الترقى والتألق والإشعاع.

دلالة المجتمع المدني في مقدمة ابن خلدون

بقلم : رمضان البرهومي

في مشروعية الصلة بين "المقدمة" ودلالات المجتمع المدني

من غير المتاح لنا وفق الاتفاق والتواضع المنهجي في تغيير تشريطاته النقدية القائمة على مدارات التنوع والاختلاف في غالبية الأنسجة الثقافية والعائلات اللغوية والمسارات التاريخية أن ننكر الحاجة إلى التفكيك المبني على مجاوزة أطوار الترصيف والتوصيف لمماريس المتون والحواشي بما أُنجم المكتبات المتكئة على الحاجة إلى بعث علامات الحيوية في عمارتنا التراثية والتوسل بسجلات كلامية في حال اضطرابنا للذود عن عقلانيتنا وعمدونات الفقهاء في السعي إلى التدليل على مشروعيات الاختلاف والتنوع المذهبي. وقياساً على ذلك في مجالات من غير المتيسر حصرها سوى بالنظر إلى تبريراتها الجائز لنا تحديدها بما يلي:

- 1- وهم الشفقة على التراث من التلف.
- 2- الفرع من تورية الآخرين ومنهم المستشرقون لحقيقة سبق أعلام حضارتنا في سباقات تخصصهم.
- 3- الحنو العاطفي والوجداني على روافد التراث إلى الحد الترقى في

مقامات الوله. فشغلنا هذه الصلة به عن فلوله ومقتضيات الحصصه والنقد.

ولهذا يكون من الأوفق الاكتفاء بهذه الوجوه من صلة رواد الإصلاح بما حمل على التحديث من مقتضيات إعادة قراءة التراث والمقتربة بالحملة الفرنسية سليله الأنوارية الأوروبية. فإنه لا يستساغ أن نواري بنرجسيات الوهم والتعالي الاعترافات التالية:

1- الاعتراف بكون التراث يمتلك في ذاته شروط ديناميته في حقوله التاريخية وربما يكون في غير حاجة إلى الحياة في زمن غير الذي تشكل فيه. ألا نمارس تخفياً من وراء هذا الافتراض لاستمداد شروط الحياة من الأموات؟.

2- الاسترشاد بمؤلفات فلاسفة أوروبا الحديثة في التنبيه إلى عبقریات تقيأتها الدسائس والخلافات المذهبية في تاريخ حضارتنا وإن لم يكن الأمر على هذا الحال من الافتراض فهل لنا من جرأة نقد الذات بافتراض السؤال عن دور هؤلاء المستشرقين في غير تحامل عليهم في بناء الوعي الأوروبي. ومن ثمة الكوني بتخطي ابن رشد وابن سينا وابن خلدون وغيرهم حدّ السائد من متون المعارف وتفصيلها إلى مستوى محو حدود جغرافيات المعرفة والسعي إلى فتوحات ثقافية لم تدرك امتداداتها ونجاعته إلا في مسار التنوير الأوروبي.

ومما يحسن الاستدلال به على هذا الاعتراف الفكري المتأخر باتكائنا على المستشرقين في إدراكهم عمق المقاربات الخلدونية في الاجتماع أو

ال عمران البشري. ألم ينتبه هؤلاء إلى أن " كبار المؤرخين مثل هيرودتس لم ينقلوا إلى العربية خلافا للفلاسفة والعلماء وسيتعين انتظار القرن الرابع عشر ميلادي ومشروع ابن خلدون الريادي التجديدي حتى تفسح سلسلة الحوادث هذه المجال أمام بحث عن علل تفسيرية وعن اجتماعيات الشعوب... (1).

3- لا تمتلك أي درجة من القدرة على التنكر لما سبق به المشتغلون من الغرب بتفكيك مكونات مدونة التراث العربي الإسلامي "وأن كثيرا ما اتخذ الذين يدرسون التراث طريقة في البحث لا تعدو أن تكون شرحا، أي أن يعمدوا إلى آراء هذا المفكر أو ذاك يستعرضونها شرحا لا يكاد يخرج عما قاله المفكر القديم يعودون هم ليقولوه بكلام آخر ولا تتغير سوى... (2)". وهو ما أفضي إلى تراكم كمي دون أدنى

افتراض لتجاوز درجة التلقي <http://Archivebeta.Sa>

وليس من نافل الإشارة إلى أننا وإن كنا لسنا معنيين بالتبرير لمثل هذه "الحواشي" المعاصرة المثقلة لذاكرتنا إلا أنه من جهة اختلاف تلك المبررات يمكن أن يحمل الاقتصار على تجميع مصنفات وأخبار السابقين على السعي إلى إثبات الذات الحضارية توازيا مع الحملات العسكرية واتساع تأثيرات "المركزية الثقافية".

ولا داعي لنظير هذه المبررات في زمن لا تحكمه الاعتبارات الدموية أو اللغوية. وإنما بتأكد التنبيه وباتجاه مجاوزة السائد، القائم على استفراغ ابن خلدون.

وفي حال تورطنا في مثل هذه الادعاءات نناقض بدورنا مسارات التكسر، والتفكيك في سياق الاستيميات التي اكتثرت الوعي بمختلف تحديات ذاكرتها.

وحصيلة هذه الاستخلاصات تقودنا إلى ما لابن خلدون من مستحقات نقدية في زمننا ليكون معاصرا لنا ولا مبالغة في كون هذه المراهنة تستوجب في تحققها النظر إلى النص الخلدوني باتجاه استكشاف استراتيجياته وهو أمر سبقنا إليه الأوروبيون في تفعيل المقاربات الرشدية. وربما وارب فلاسفة العقد الاجتماعي الاعتراف بالافتباس والاستلهم من تفاصيل مقدمة ابن خلدون وإن كان ذلك غير خفي في ضوء ترجمته والتنويه بعبقريته بأكثر من لغة...

وفي ضوء ما تنطوي عليه هذه الملاحظات من تأكيد الحاجة إلى إعادة قراءة ابن خلدون. هل في استطاع أكاديماتنا المتخصصة في التراث العربي الإسلامي تعدى الطور الترصيفي لمصنفاته إلى احتمالات إشكالية لن تسبق إليها؟ وهو ما لا يعني بعبارة أخرى أن هناك "تاريخا عاما ياطلاق تنشأ بصده نظرية كلية عامة التطبيق، بل إن لكل نظرية في التاريخ حقلا تاريخيا ينبغي القيام باستخراج حدوده.." (3) بما يقتضي بحانية التردّي في محاذير التسذيج أو الإدعاء بأنه لو لم يكن ابن خلدون لما تربت الأنوار الأوروبية على مبادئ العقد الاجتماعي بمثل ما وقعت فيه القراءات الانطباعية والاحتمائية في استدلالها مثلا على الشك الديكارتّي بتجارب الغزالي في تموجاته الصوفية غالبا بين

حدي التسليم والترقي في مقامات السؤال في حدود سياجه الاعتقادي. ألا تعتبر هذه الصور الاختزالية للتراث وجها غائما للمركزية الثقافية وهي لا تمتلك مستلزمات أن تكون كذلك؟ ولكي نقصد إلى الوعي بقطائعية هذا النمط من استفراغ المقاربات الخلدونية في دلالة التاريخ والعمران البشري وتصنيف العلوم فإننا في ضرورة حضارية ملحقة لمسائلات بديلة لما سبق لغت النظر إليه. وهو ما يقتضي السعي إلى رفع أي احتمال من التجاسر المجاني على عباقرة الحضارة العربية الإسلامية لاعتبار نفاذ أفكار هؤلاء إلى الأنسجة الثقافية المغايرة.

ويمثل هذا التقدير قد لا تمتلك أدنى حد من ضرورات التزاهة في حال التوقف عند حدود "المباشرة" والتواضع عليه في غير نطاق اهتمام المتخصصين لمصطلح المجتمع المدني. وكأنا نبحر التراث ومنه "مقدمة" ابن خلدون بما يستوجبه الراهن الفكري والحضاري. إذ لا يمكن أن يحتمل التسويق لمثل هذه التعميمات إلا عند افتراض الاكتفاء بالنظر إلى تجارب المجتمعات التي انتسبت إلى تاريخياتها، من غير وعي بانسلاال هذه المفاهيم أو توالدها من مراعاة جيناتها الحضارية. إذ أن لكل حضارة خارطتها الحينية تورثها. محجاز معين في قيمها وتطور أنساقها النظرية ولا ينفي ذلك أي مدى من قابليتها للحوار مع غيرها في عناوينها الأولى وليست المصنفات التراثية في مختلف أبواب العلوم والفنون ومنها "المقدمة" إلا علامة دالة على تلك العناوين المقترنة بالتأكيد على أبعاد مقارنة العمران البشري بما هو ضرورة إنسانية.

وهنا يكون من الملح علينا السعي إلى تحسس مستويات التقاطع بين مقتضيات المدنية في التصور الخلدوني وأنطولوجيات المجتمع المدني لدى فلاسفة التنوير في سياق تغالب الثقافات من غير ظن في تهالكها. وربما تزيل مثل هذه الإشارة كل صور التغافل عن دلائل "المشرك" والإقرار بجدوى إسهام كل الثقافات على ما بينها من تفاوت في احتمالات التحاوز لما ساد في منتصف القرن السابق من محورية الثقافة الأوروبية وبدائية ما عداها من الثقافات.

يظهر أن الاشتغال على دلالة المجتمع المدني في مقدمة ابن خلدون يستوجب التشهير ربما "بأعرايتنا واستعرايتنا" أولاً في حال الاختصار على شكلينيات المدينة الحديثة. أو الكشف عن امتلاك الحضارة العربية الإسلامية شروط مدنيته وإن تباينت مع ما سواها من الحضارات الأخرى فذاك أمر لا يفقدها معاودة صياغة وبناء تلك الشروط ثانياً. في حال توسل الطروحات المشتغلة على "ابن خلدون" بالحفر في حدود التقارب بين المقدمة والمقومات القيمية والتشريعية التي تكتمل في ضوئها بنائية المجتمع المدني. فما مدى استحابة مقدمة ابن خلدون لمثل هذه الانتظارات وهي لم تحاوز حدود الافتراض.

في دلالة المجتمع المدني: مسارات، القطنان السوسيولوجية

يفترض الاتساق المنهجي في جملة ما له صلة من المعارف بمدنية الإنسان، عدم الاختصار على الانحباس في الطروحات النسقية المبنية على الإيمان المطلق والمختركة بما تلاحق من عمليات تعرية لمسلماتها

الانكفائية في توهمها القائم على الاعتقاد في أن لكل مجتمع أنسجته الذاتية المكونة لمستوجبات الحياة في غير حاجة للانفتاح بما يمكن أن ترافقه من مظاهر التمازج العرقي وهو ما يفقد المجتمع ملامحه المميزة له ونقائه النسبي.

وعلى أية حال قد لا يتسع النطاق للاستدلال على النظر في هذه الانطباعية بعفويتها في زمنها على نحو ما يتسم به السائد الاجتماعي في واقع مجتمعاتنا في المنتصف الأول من القرن السابق في النظر إلى أن أي انفتاح قد يلقي بقيمتنا وأعرافنا في متاهات الاغتراب وهو ما ينهنا حين الاشتغال على دلالة المجتمع المدني إلى مقتضيات التمييز بين مسارين من النظر والبحث.

1- الحفر في المبررات الصورية والذهنية المجردة لمحاولة التعامل مع المعضلات التي تطرحها الافتراضات الفلسفية على أن هذه الأنماط من القراءة تزداد التباسا في حال الاستغناء عن المنطلقات النسقية التي يحكمها نظامها الذاتي المبني في أي شكل من أشكاله على حد من التسلم الإيماني.

2- الاقتصاد على مظهريات المجتمع المدني وهيكلية مؤسساته وتنظيماته فيعرف حينها على "نحو إجرائي بأنه جملة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة... " (4) وهو ما يفيد أنه ثمة مسارات منهجية في التعاطي مع إشكالية المجتمع

المدني في سياق تبين كفاءات تحققه التاريخي أو الراهن.

وليس من الممكن الوقوف عند هذا الحد لما يقتضيه التبرير للامتداد التاريخي لمفهوم المجتمع المدني بجملة أسس مشروعيتها في النص الخلدوني بما يرفع أي طائل للسجال بين المعاصرين في المجتمعات العربية الحديثة بطرق مختلفة تقوم على التردد بين الانبهار وبالتمثلات الغربية للمجتمع المدني والانطوائية، بما تلمح إليه من تضخيم سلبيات التأسس بتجارب المجتمعات الأخرى. لا يعنينا إذن سوى التنويه بما يتاح لنا من الملامح الكبرى المميزة لبنائية المجتمع المدني وهو ما يمكن أن يبرر لنا الاكتفاء بالاشتغال على المفاصل الكبرى من العقد الاجتماعي لروسو دون الوقوع في تيه المقارنة بين فلاسفة العقد الاجتماعي ومدى "خلدونيتها".

ولتعقب المقومات النظرية للمجتمع المدني في أبرز أبواب مقدمة ابن خلدون تتضافر الدلائل على أن "المجتمع المدني كمفهوم كان ماثلاً في الذهن أما المجتمع المدني كمصطلح فهو جديد... (5) وهو ما يعني بكل الاحتمالات الحاجة إلى تخطي الطوباويات المحلية في كل مجتمع بما يخرجنا من المركزية الثقافية ليقعنا في مركزيات تاريخية... ألا يكون من الأخرى إذن تحديد المبررات النظرية والدافعة إلى إعادة النظر فيما تستلزمه مدنية الإنسان وباعتبار جاهزيته ليكون طرفاً في التواضع على العقد الاجتماعي من غير ضبط سابق إذ أن لكل بناء اجتماعي ملامح تعاقده واتفاقه.

ومما يمكن أن يدعم هذا النمط من النظر إلى مفهوم المجتمع المدني على اعتباره مستوى تقاطع بين كل المجتمعات وإن كان في مؤسسيته يرجع دون أي داع للاختلاف إلى فلاسفة العقد الاجتماعي. وربما يقتضي منا السعي إلى الكشف عن أسس بناء المجتمع المدني في ضوء المسار العام للعقد الاجتماعي لجون جاك روسو وهي المرحلة التي يفترض طبعاً أن تسبق التعامل مع الإشكالية التي يفترض ألا تخلو منها مقدمة ابن خلدون.

وترتبط على ما سبقت الإشارة إليه نكون معنيين بلفت النظر إلى ما يلي:

1- لم يفصل "روسو" مفهوم المجتمع وتشكلاته الدلالية عن سياق التحولات التي تبلورت في ضوئها مدنيات إنسانية حتى وإن لم تتسم بالانسجام. وهو ما يدل على الصلة المتينة بين مختلف كفاءات تشكل المجتمع المدني المبني على التعاقد الاتفاقي في حال توفر مقتضياته القائمة على إدراك الطبيعة الإنسانية ومدى قابلية تلك الطبائع للانخراط في نسج المجتمع المدني. أي أن لفت النظر إلى أن المعوقات لا تحمل على قوم أو مجتمع بذاته لاعتبار ما يجوز أن توقعنا فيه هذه الرؤية من تصنيف المجتمعات البشرية إلى مدنية ووحشية وكأن التوحش متأصل بما يجعله طبيعة ثابتة. والحال أن الإغريق مثلاً بما ينسب إليهم من ابتداع الديمقراطية في سياق التنظيم السياسي تحكمت في صلتهم بالأقوام المراهنة لهم "فكرة غريبة، المتمثلة في توهم العثور على آهتهم لدى

الشعوب الممّج، جاءت من اعتبارهم لأنفسهم الأسياد الطبيعيين لهذه الشعوب... (6).

وكان روسو ينبه إلى كون التجارب السابقة في تشكيل صورة معينة للمجتمع المدني باعتبارها حلقة في سياق تنوع تجارب هذا النمط من بنائه الواقع الاجتماعي بما يقلص اثر افتعال التقابل أو التعارض بين الأبنية الاجتماعية الأخرى السابقة عن تشكل التصورات الفلسفية ومن بعدها السياسية لمفهوم المجتمع المدني بالنظر إلى كونه ممكنا إنسانيا بما لا ينفي نسبته في إجرائية إلى التحولات الاجتماعية القائمة على مقتضيات التنوير في أوروبا...

2- اعتبار التربية الأسرية المؤثر الأول في بناء الاستعداد النفسي والوجداني لثقافة التعاقد الاجتماعي رغم كونها لا تتعدى طور المجتمع الطبيعي الأول. فهي ليست إلا الحلقة الأولى، لا يتوقف عندها الحس المدني. وهي إن شئنا أول نموذج للمجتمعات السياسية "فالرئيس عبارة عن الأب والشعب عبارة عن الأبناء وبما أنهم جميعا ولدوا متساوين وأحرارا فهم لا يتنازلون عن حريتهم إلا من أجل منفعتهم (7).

وليست هذه الإشارة سوى تأكيداً على الاتساق بين الاستعدادات الطبيعية المنغرس في الإنسان بما هو كائن يمتلك استعداداً مميزاً له للتنازل في مقابل إنتساباته المدنية في المستوى الأسري وما يجاوزه من مراتب التعاقد الاجتماعي الأخرى.

3- اعتبار توحيد إرادة الافراد من أرقى السبل لحفظ الحقوق واكتمال

التعاقد وهو ما يطرح الافتراض القائم على تنوع كفاءات تمثل، مدنية المجتمع والحال، أن "البشر لا يستطيعون خلق قوى جديدة إنما يستطيعون فقط توحيد القوى الموجودة وتوجيهها فلا سبيل لهم بعد إلى البقاء إلا في ضم القوى بعضها إلى بعض وتأليفها في كتلة تستطيع التغلب على القوى المضادة، وفي جعلها تتحرك بدافع واحد وتعمل باتفاق" (8) لا يمكن أن يستند إلى روابط قرابية دموية على النحو الذي تحقق في أطوار وتجارب إنسانية متعددة وهو ما يعني النظر إلى المجتمع المدني لا على اعتباره المرحلة "الخلاصية" للمجتمعات البشرية وإنما على مقتضى الوعي بتناقضات القوى والرؤى التي تحكم حيويته من غير الحكم عليها بمجرد الاختصار على الشروط المؤسسة والقانونية الإجرائية.

4- يقتضى التعاقد الاجتماعي تقليص المنافع الفردية وانصهارها في السياق الجمعي وهو ما لا يعني تناقض المدنية مع المنفعة في مدارها الفردي إلا أنها "تقتضى الطوعية الفردية في أن يتنازل كل مشارك كلياً عن شخصه وعن كل حقوقه لفائدة المجموعة (9). بما يوفر شروط الامتداد الزمني للتعاقد الاجتماعي في سياق التداخل بين الفردي والاجتماعي دون التكرار لما يفترض وقوعه من تقابل بينهما...

"المقدمة" وأنطولوجيات المجتمع المدني:

قد يسوغ لنا استحضار القول الخلدوني المستدل بمغالط من سبقه من المؤرخين على جدوى النظر إلى التاريخ من مستوى كونه تأريخاً

وتجميعاً للواقع والحوادث التي تلحق بأحوال الدول والأمم وهو ما حمله على الظاهر أو المستوى التوثيقي لما يشتغل عليه المؤرخ إلى كونه نظر وتحقيق بما تحيل إليه أية واقعة تاريخية من علل لها وأسباب دافعة إليها ويظهر من سياق تحديد ملامح رؤية ابن خلدون للتاريخ والارتقاء به إلى شروط "العلمية" لأن "الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق" (10).

وهنا يبدو أن تجاوز الكيفيات التقليدية في الرواية التاريخية يستوجب التنبيه إلى ما يلي:

1- لا إضافة في مجرد التوقف عند هذا الحد من الإشارة إلى الحاجة في زمننا إلى الكشف عن الأفق التنظيري للمقدمة فيما له من وجوه الصلة بين الظواهر التاريخية في الفضاء الاستيمى والسوسيولوجي الناشئة في مناخاته دون التبرير لهذه الصلة على مبتغى المجازات اليوتوبية أو الافتعالات الخرافية. بما يفرغ التاريخ من علله وأسبابه. وهو ما يدل على أن رؤية ابن خلدون للحقائق التاريخية تقوم على مجاوزة أحادية العلة المتحكمة فيها إلى تنوع دواعيها وأسبابها وهو ما يعني أن تلك الظواهر المنتهية والمنتسبة إلى الماضي لا يكتمل الوعي التاريخي بحقيقتها من غير النظر في مدى واقعيته المقترضة لتنوع العوامل المؤثرة في مسار

أي بناء اجتماعي.

- ألا يحيلنا مثل هذا النص الخلدوني إلى مستويات التقاطع والتنوع في الوقت ذاته في مختلف حلقات وأطوار المجتمعات الإنسانية؟ ألا يعني استحضار العوامل المتحركة بشأن الظواهر التاريخية تأكيداً على أنها ليست سوى أثر من آثار حيوية المجتمع الإنسانية. وهو دليل على تباين مقومات مدنيها وعليه يحتاج صاحب هذا الفن (علم التاريخ) "إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف البقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف..." (11).

ومن العلامات اللازمة لأي بناء اجتماعي بما هو الفضاء التعاقدية لتقارب وتقابل وتداخل ما يشكل الطبيعة الإنسانية التي تتميز بقابليتها للانخراط في المدنية القائمة بدورها على التعاقد والتنازل في معنى ما يفترضه واقع المجتمع المدني في ضوء التسمية المقترنة بنظريات العقد الاجتماعي الحديثة وهو ما يحيلنا إلى مراجعة قراءة فريق من المستشرقين لآثار ابن خلدون. ومن هؤلاء قاستون بوتول في تصريحه بأن "نتائج المقدمة العامة تكون استقراءات ناشئة عن تأمل الأحوال التاريخية الخاصة بالدول العربية التي أسفر عنها الفتح الإسلامي..." (12).

والنظر إلى مقدمة ابن خلدون من هذه الزاوية يشرع لنا المساءلات ذاتها بشأن فلاسفة التنوير ومن اشتغل منهم على المفارقات القائمة بين

صورة المجتمعات الأوروبية في زمن سلطة الكنيسة وبناء المجتمع المدني التنويري وكأننا نتساءل عن دواعي اقتصار جون لوك أو توماس هوبز على واقع المجتمعات الأوروبية. ألا يمكن ترجيح الاحتمال القائم على تبرير ابن خلدون لقابلية كل المجتمعات التحول من طور التوحش إلى المدنية وليست الشواهد التي تضمنتها المقدمة سوى أمثلة عيانية تدعم افتراضاته النظرية؟

2- على الرغم من اعتبار المقدمة من المتون النظرية في أبواب علم العمران البشري فإنها لم تخل - فيما تخبره ابن خلدون من عناوين أبوابها - من تأكيد على التلازم الذي لا محيد عنه في النظر إلى ما يقتضيه الاجتماع البشري مع التنبيه إلى ما يبدو من تعمد ابن خلدون التعميم في رؤيته لمن سبقه من الفلاسفة والحكماء وليس في ذلك تحامل عليه وإنما قد يكون اجتناباً لمخازير السجالات بين المتكلمين على صورة ما حدث بين الغزلي وابن رشد أو المكابذات السياسية بما أدركه من تجاربه السابقة عن كتابة "المقدمة".

ولسنا نسعى في كل ما سبقت الإشارة إليه الاستعادة الجامدة لابن خلدون وهو ما يشفع لنا في تجريب المحاتلة التأويلية لأفكاره سيما في ما له من وجوه الصلة بين مفهوم المجتمع المدني ودلالة العمران البشري على اعتبار أنه لم يسبق إليه لا من جهة النظر إلى مقتضيات الاجتماع البشري وهذا أمر لم يخف صاحب المقدمة نفسه أنه غير مبتدع في الإقرار بكون استقامة أحوال الأفراد والمجتمعات غير ممكنة دون تناسج

بين القدرات في الصنائع والحرف.

ومن الاعتبارات التي يتاح على أساسها تقصى الميراث النظرية للمجتمع المدني في المقدمة في ضوء التأكيد على أن هذا الاجتماع "إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض" (13). بما يبي الشروط التعاقدية التي تسمح للمجتمع المتوحش من امتلاك المستلزمات الانتساب إلى المجتمع الحضري والمشاركة في دفعه إلى الخلاص من التعنت والانغلاق على أدبيات بداوته.

وهذا ليس سوى إلا دليلا على مرونة التحول في أشكال وصور العمران البشري في المنظور الخلدوني أي أن التوحش وإن تضافرت دواعي اقترانه بالحالة الطبيعية فإنه لا يمثل حالة دائمة "فالتقابل الذي استخرجنا منه ما أقام عليه ابن خلدون من أفكار واستنتاجات نظرية ليس تقابلا مطلقا... بل التناقض هو بين العمران والقفور يتغير محتواه بالتاريخ، فالقفور مجال لصنف من البشر هو نقيض بالنسبة لمجتمع الحضرة كسلطة مركزية" (14) لا تنفي تنوع مكونات النسيج الاجتماعي المستوجب بدوره لتعدد الأدوار واختلاف الوظائف التي ينظر إليها على اعتبار أهمية إسهامها في حيوية الواقع الثقافي والسياسي أو الاقتصادي.

أليست هذه من أبرز ملامح المجتمع المدني بما هي انتظارات في مختلف تلك المستويات التي لا تقوم إلا في ضوء التأكيد على أن حيوية البناء

الاجتماعي تفرض التنوع والاختلاف بما يحيله إلى جدلية تقوم على الوعي بالتمييز بين التناقض في دلالاته الاثرية وهو حاجة اجتماعية وليس التنافر إلا وجهها من وجوه تعطيل التفاعل بين مكونات المجتمع الحضري وفق التسمية الخلدونية أو المجتمع المدني بما يتداول في الاصطلاح الراهن.

ومن غير الممكن تجاوز هذه المسألة دون التحذير من التعميم وإن كان من جهة المتخصصين أحيانا في إشارتهم إلى "العصبية" وكأنها من الأسس التي لا يمكن الاستغناء عنها في بناء الدولة.

ربما يظهر هذا الادعاء أقرب إلى الحجة حين استحضر التأكيد الخلدوني المكثف "للعصبية" مما يحتمل تحكمها في تغيير أحوال المجتمعات والدول. إلا أن ذلك يقتضي تفكيك مكونات العصبية والتمييز بين مختلف أطوارها "لأن الأساس الذي تقوم عليه العصبية ليس النسب وحده لأن عصبية هؤلاء تقوم على رابطة أوسع وأمتن هي المصلحة التي يولدها وينميها طول المعاشرة" (15).

واضح مما تدل عليه هذه القراءة أن احتزال ما تقوم عليه أو تنحل به الدولة في عامل العصبية لا يفسح الطريق إلا لإنكار ما نبه غاستون بورتول من أن "فلسفة التاريخ عند ابن خلدون لا تقوم على تطور العصبية وحدها بل يقوم هذا التطور على ما يقع من تغيير لا ينقطع في حال الناس" (16). بما يؤدي إلى قوة أو ضعف الانتساب لعصبية معينة بحسب ما يكون عليه الإنسان من بدابة أو تحضر.

هنا نصل على مرحلة التنبيه أخيراً إلى الإقراض بتقاطع "المقدمة" مع الخلفيات النظرية في مقاربات فلاسفة العقد الاجتماعي لمسألة المجتمع المدني في سياق التأكيد على المشترك الإنساني في غير تقيّد بنسبة اجتماعية الإنسان أو مدنيته لأفضية إبستيمية وحضارية بعينها.

الهوامش:

- 1- لويس غارديه: أثر الإسلام في العقلية العربية: ترجمة: خليل أحمد خليل: دار الفكر بيروت 1992.
- 2- علي أومليل: في التراث والتجاوز: المركز الثقافي العربي: بيروت 1990، ص 21
- 3- ن : م-ص
- 4- د. كرم أبو حلاوة: إعادة الاعتبار لمفهوم المجتمع المدني : مجلة عالم الفكر الكويت: العدد 3- مارس 1999. - ص (11)
- 5- ابو علي ياسين المتقفون العرب من سلطة الدولة إلى المجتمع المدني مجلة عالم الفكر الكويت- مارس 1999. ص (45)
- 6- ج . ج . روسو: في العقد الاجتماعي أو مبادئ الحق السياسي ترجمة عمار الجلاصي وعلي لجنف: دار المعرفة تونس 2000. ص (143).
- 7- ن.م.ص (12) <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
- 8- ن.م.ص (22)
- 9- ن.م.ص (23)
- 10- ابن خلدون: المقدمة (ج 1): الدار التونسية للنشر 1984: ص (37).
- 11- ن.م.ص (58)
- 12- قاستون بوتول: ابن خلدون - فلسفته الاجتماعية.
- ترجمة عادل زعيتر: دار إحياء الكتب العربية مصر 1955، ص (30)
- 13- ابن خلدون: المقدمة: (ج 1). ص 78
- 14- علي أومليل: في التراث والتجاوز: ص (49)
- 15- قاستون بوتول: ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية: ص (85)
- 16- محمد عابد الجابري: العصبية والدولة (معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الإسلامي) دار الطليعة: بيروت (ط 3) 1982. ص (291).

المرأة التونسية بين حركة الإصلاح

ورهانات الاستقلال

بقلم : الأزهر النفطي

الحديث عن المرأة في مرحلة تشهد فيها بلادنا ارتفاعا في نسق التغيير والإصلاح هو حديث عن الإقتصاد والتنمية والتحديد والتحديث بما أنّ الحديث عن المرأة ينخرط في جوهر الفكر الإصلاحي بتونس وفي مدلولات التنمية والتأهيل الشامل.

كما أن الحديث عن المرأة في هذه المرحلة المشرقة من مراحل بناء الدولة العصرية هو حديث عن تركيبة المجتمع من أجل هيكله هذا المجتمع هيكله جديدة وولادة أسرة زوجية تتطور تطوّر الحركات الإصلاحية نحوها لدعم مكاسبها وتطوير مزاياها وحمايتها من تيارات الردة والرجعية والتزمّت والسكون حتى تبقى المرأة قوة دفع على الأمام باستمرار:

"ولكن العرب تجاوزوا في التغني بالمرأة كلّ حدّ حتى أصبحت هي اللحن الجميل الذي تستهل به القصائد وهي الكلمة السحرية التي تفتحت لها كنوز الشعر"

أبو القاسم الشابي- الخيال الشعري عند العرب

من الناحية المنهجية حدّدنا ملامح عملنا في محورين أساسيين:

أ- المرأة في فكر رواد حركة الإصلاح بتونس

ب- النموذج التونسي الفريد في مجال المرأة

1- المرأة في فكر رواد الإصلاح بتونس:

"إن في تحرير المرأة من قيود الاعتقال والحجاب ترسيخا للسلوك الحضاري بتونس فبالتحريم تتمكّن المرأة من تكوين ذهنها بالعلوم والمعارف وتضرب في مجال الحياة إلى جانب الرجل"

المرحوم : الهادي العبيدي

عن جريدة الصواب 1928

لقد عالج العديد من المفكرين التونسيين موضوع المرأة بكثير من العناية والجرأة والموضوعية بحثا منهم عن ترسيخ السلوك الحضاري في المجتمع الذي تمثل المرأة نصفه في مرحلة لم تكن لها مكانة تذكر في المشاركة الاجتماعية.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وتبرز رسالة أحمد بن أبي الضياف المؤرخة في سنة 1856 مدى وعي رواد حركة الإصلاح بتونس بأهمية دور المرأة في النهوض بالمجتمع لاستكمال مشروع الإصلاح الشامل إذ يقول في خاتمتها:

"وحبّ الوطن سجيّة في الحيوان أخرى نوع الإنسان لا فرق فيه بين الرجال والنساء".

كما أثار أحمد بن أبي الضياف في رسالته إلى أن بعض الأمم تقدّم المرأة للحكم وتتمّم بدولتها في إشارة ضمنية إلى الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا التي نوه بها كثيرا في كتابه (إتحاف أهل الزمان)، ونعت أهل

هذه الأمم بالعقلاء.

وتعتبر قضية تحرير المرأة في تونس من القضايا الاجتماعية البارزة التي أثارها المصلح خير الدين في كتابه (أقوم المسالك) حيث ألح على تربية المرأة لأبنائها.

وفي مفهوم يتسم بالجرأة والفكرة الإصلاحية الرصينة والموقف الشجاع من حقوق المرأة في عصر كان الفقه التقليدي يعتبر المرأة قاصرة أبدية وناقصة عقل ودين، أثار الشيخ محمد السنوسي هذه القضية في رسالته (تفتي الأزمان عن إرادة لحقوق المرأة في الإسلام) المؤرخة في 1897 نشرت بالمجلة التونسية مترجمة عن محي الدين السنوسي والقبائلي حدّد فيها موقفه من حقوق المرأة وتحريرها فكان أكثر جرأة في تناول هذه القضية من أحمد بن أبي الضياف إذ يقول في رسالته:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

"وحيث أني رأيت أن من اهتم بهذه المسألة يحدث له ارتكاب الأخطاء التي ينبغي تجنبها من ذوي النظر السديد، عذمت على تحرير هذه الرسالة وحاولت فيها الدفاع عن الحقيقة وقد أردت أن تكون الرسالة بمثابة التحية الموجهة إلى المرأة والمحتوية على عرض لحقوقها". وفي 1907 أثار الشاعر عبد العزيز المسعودي، ابن المؤرخ والشاعر الباجي المسعودي قضية تحرير المرأة بقوله:

"يجب الإطاحة بالطّوق المضروب على المرأة والممارسات الموجهة إليها" وتواصل منذ هذه الحركة الإصلاحية التي ترى أن المرأة لا تقل منزلتها

في الإسلام عن الرجل لا من حيث العقيدة ولا من حيث التشريع ولا من حيث التأثير الروحاني ولا من حيث المسؤولية ولا من حيث التأثير الاجتماعي...

ولقد ترسخت هذه الأفكار الإصلاحية في بداية القرن العشرين مع حركة الشباب التونسي ومع الفكر الإصلاحي لعبد العزيز الثعالبي في كتابه (الفكر الحر) واكتملت هذه النظرة الإصلاحية في الثلث الأول من القرن العشرين عند المصلح الاجتماعي الطاهر حدّاد الذي نظر إلى المرأة من الجانبين الاجتماعي والسياسي في كتابه (إمرأتنا في الشريعة والمجتمع) الصادر سنة 1930 حيث أدرك بعقلانية وتبصّر لذات الموضوع المطروح أن قضية المرأة ليست معزولة عن الواقع السياسي والاجتماعي للبلاد في تلك المرحلة العصبية من حياة المجتمع التونسي وكذلك ليست معزولة عن قضايا جوهرية أخرى تشغل فكره الإصلاحي وهو الذي تأثر برسالة صديقه وابن بلدته المحامي محمد علي الحامي الذي أذكى جذوة مسيرته النضالية، السياسية والاجتماعية بأهداف الحركة العمالية، فأمن الطاهر الحدّاد بأن لا خلاص للوطن من قيود المستعمر إلا بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل وتخليصها من الممارسات الرجعية التي تحاك ضدها فنادى بتمكينها من ثقافة متنوعة: اجتماعية، مثلية، عقلية، أخلاقية، زوجية، وصحية على أساس مخطط تعليمي يعتبر خيالاً في تلك المرحلة لأنه قام على مبادئ أساسيين: تهذيب الذوق من ناحية وتكوين العقل من ناحية أخرى حيث يقول

في كتابه (إمرأتنا في الشريعة والمجتمع):

"وقد رأيت بعين يقيني أن الإسلام بريء من قهمة تعضيده للإصلاح بل هو ديننا القويم يجعل من الإصلاح ديدنا ومنبعه الذي لا ينضب".

لقد عاش الطاهر الحداد فترة تيقظ وتحمس للواجب الوطني وتندرج حركته الإصلاحية ضمن حركة الجيل الجديد الذي احتل الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية بتونس بعد الحرب العالمية الأولى وظهور شباب تونسي. متحمس للقضية الوطنية فقامت حركة الطاهر الحداد الإصلاحية على عمل متكامل فوضع في كتابه (إمرأتنا في الشريعة والمجتمع) شرطا أساسيا لتحرير المرأة ومساواتها بالرجل وهو التعليم الذي بفضلله توَهَّل المرأة للشغل والمشاركة في الدورة الاقتصادية والرفع من مستوى الأسرة والفرد في المجتمع.

وجرأة أفكار الطاهر الحداد الإصلاحية وأهدافها البعيدة المدى تجاوز بها أطروحات رواد حركة الإصلاح في الوطن العربي ومنهم قاسم أمين الصديق الحميم للزعيم سعد زغلول في كتابيه: (تحرير المرأة 1889 - المرأة الجديدة 1900) خاصة على مستوى القضايا الجوهرية المتعلقة بالمرأة كالتعليم والحجاب والزواج والطلاق. ففي ما يتعلق بالتعليم يرى قاسم أمين ضرورة التعليم الابتدائي للمرأة بينما يطالب الطاهر الحداد بكل العلوم والمعارف وحتى بالرياضة والموسيقى.

وبخصوص الحجاب يطالب قاسم أمين بالحجاب الشرعي فالإسلام

يتيح للمرأة بأن تكشف عن وجهها ويديها بينما الحجاب في نظر الطاهر الحدّاد أمر مشين للمرأة ومهين لكرامتها ينبغي أن تطرحه جانباً لأنه يعيقها عن أداء واجباتها الاجتماعية.

وبخصوص الزواج يستبيح قاسم أمين نظر الخطيئة لمخطوبها ونظر الخاطب للمخطوبة بينما يذهب الطاهر الحدّاد إلى طلب الفحوص الطبية للزوجين قبل الزواج كما يعارض الزواج بالأجنبية لأن الزوج قد يندمج في جنسية الزوجة كما يطالب بالغرامة للزوجة لا في حالة الطلاق فحسب بل حتى في حالة الوعد الكاذب بالزواج.

وهذه أفكار إصلاحية تقدمية واجتهاد بدون ضفاف عملاً بقول الشاطبي: "حيث المصلحة فثمّ شرع الله".

والرأي عندي أن الطاهر الحدّاد أراد بتناوله لقضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل أن يزيل العراقيل والعقبات التي تقف دون إصداعه بأفكاره الإصلاحية التقدمية على جملة من المستويات: المستوى الديني والواقع السياسي والاجتماعي بشرح وجهة نظريّ أراد من خلالها وبصورة تدرجية ذكية اتّسمت في النظر لحقوق المرأة في الإسلام أن يتأوّل الشريعة بالطريقة التي تسمح له بتمرير الأفكار الإصلاحية التقدمية. على هذا النحو نُدرك أن أفكار الطاهر الحدّاد الإصلاحية تركت الأثر العميق في نفوس ثلّة من الكتاب والشعراء الوطنيين في تلك المرحلة الحرجة من حياة المجتمع التونسي فحاسّو خلال الديار يثوّنها في شعرهم ونثرهم ومنهم الشاعر مصطفى خريّف القائل في قصيدة له

تحت عنوان (من الطاهر الحدّاد إلى زكية الفراتي) كتبت عند قدوم رئيس وزراء فرنسا DALIDIER EDOUARD إلى تونس وقيام مظاهرات نسائية مناوئة له سنة 1939:

شَنُّوا عَلَيَّ الغارة الشعواء وترَبَّصوا بي بكرة ومساءً
وجرُّوا يثيرون الغبار لدغوتي إفكاً ومكراً سيّناً وهراء
وتعجّلوا موتي وكنت مهنّداً عذباً أكافح عنهم العُرباء
إن قلت سير وبالنساء إلى الضياء وابغوا الهنّ شريعة سمّحاء
وتلمّسوا فيهنّ علّة دائنا تجدوا لذا الداء العضال دواء
أنّ لينشأ في الظلام وليدنا ويشبّ في جهالة جهلاء
وتظلّ روح النشء تائهة الخطى عمياء عن طرق الهدى ضمير
تلك الحقول الذوايات إن ارتوت تزهر وتثمر نعمة وثراء
حتى متى تترك أمناً في جهلها بالرجال أمنا حواء
ما بال آدم منكراً تعليمها والله علّم آدم الأسماء

هكذا ندرك أن حركة الإصلاح في تونس على اختلاف منطلقاتها ونتائجها قد برهنت عن رغبة في التفكير والتطوير والتغيير فطرح إشكالية حقوق المرأة في تونس يعود إلى خضمّ القرون الوسطى خاصة في العهدين الزيري والحفصي حينها كان الزواج بالمرأة الواحدة: (عقد القيروان-Monogourie)، وأكثر من ذلك كانت العصمة بيد المرأة.

II/ النموذج التونسي الفريد في مجال المرأة

"لقد أنصفت مجلة الأحوال الشخصية ديننا الحنيف وأبرزت توجهات

شريعتنا الإسلامية بأكثر صُورها، وكان تجسيما رائعا لتطلّعات رجال النهضة والإصلاح في بلاد الإسلام وكلّهم ناصر المرأة وناصر الدين وسعى إلى تخليصه مما علق به من شوائب ومما ران عليه من ممارسات وقرّاءات ابتعدت به عن جوهره ومقاصده".

الرئيس زين العابدين بن علي - 15 أوت 1989

لقد راهنت تونس منذ الاستقلال على خيارات اصلاحية جوهرية كبرى استجابت لطموحات روّاد حركة الإصلاح واعتبرت المرأة مواطنا كامل الحقوق والواجبات فصدرت مجلّة الأحوال الشخصية في 13 اوت 1956 بمبادرة تاريخية من الزعيم الحبيب بورقيبة مؤسس الحداثة التونسية فكانت أحكامها خلاصة اجتهاد فقهي يعتمد الأصول والمقاصد وكانت أبرز مصادرها القرآن والسنة والفقه الإسلامي من خلال لائحة مجلة الأحكام الشرعية المستمدة من أصول المذهبين الحنفي والمالكي إذ كانت حاضرة بامتياز عند كتابة مواد مجلّة الأحوال الشخصية مع اجتهادات علماء الدين والقانون فأحكمت بذلك الانسجام بين تعاليم الدين الحنيف والتطوّرات السياسية والاجتماعية وما تقتضيه من مصالح لما تتوفر عليه مجلة الأحوال الشخصية من خاصية المرونة والتحرّر والتطوّر.

وقد أكّدت الخيارات الإصلاحية التي راهنت عليها بلادنا منذ الاستقلال أنّه لا يمكن إرساء قواعد مجتمع متكافئ ومتوازن يضمن مشاركة جميع فئات المجتمع في بناء صرح الدولة الحديثة دون أن نقرأ

حساباً للمرأة باعتبارها نصف المجتمع والمؤثر الأساسي في مجال التنمية الاجتماعية والتربوية.

وتعتبر مجلة الأحوال الشخصية آلية قانونية فذة تُمكن المرأة من حقوقها كاملة وترفعها من وضع العاقل المكفول إلى درجة العامل المسؤول.

ومع حركة التغيير والإصلاح اعتبرت مجلة الأحوال الشخصية رمزا من رموز التنوير والتطوير ونموذجاً لحماية المرأة والأسرة والطفولة والمجتمع فكان الرهان المتجدد مع الحداثة حيث حظيت المرأة التونسية بتشريعات رائدة وبمكاسب سياسية واجتماعية جمّة فهي تحتل 26.4% باللجنة المركزية للتجمع الدستوري الديمقراطي و 22.7% بمجلس النواب و 16 امرأة بمجلس المستشارين و 25% بالمجلس الدستوري و 50% من سلك أساتذة التعليم العالي و 13% بالمجلس الأعلى للقضاء و 24% من سلك القضاة و 22% من سلك المحاماة و 21% من سلك الأطباء و 63% من سلك الصيادلة مع حضور 2000 امرأة رئيسة مؤسسة و 1500 امرأة مسيرات لمشاريع فلاحية...

هكذا تميّزت سياسة الدولة العصرية في مجال المرأة بالشمولية والتواصل لمواكبة التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يشهدها مشروعنا المجتمعي الرائد إذ صدر سنة 1993 قانون فريد في الوطن العربي ألغى المشرع بمقتضاه سيطرة الرجل المطلقة على المرأة فتحولت الأسرة في ظل ثورتنا الإصلاحية النافذة إلى شراكة متساوية بين الزوجين في كنف الاحترام المتبادل.

على هذا النحو يبرز النموذج التونسي الفريد في مجال المرأة مشعاً بامتياز على محيطنا الحضاري والإجتماعي كما تبرز مجلة الأحوال الشخصية مكسباً حدثاً خالداً وتشريعاً اجتماعياً رائداً:

"لقد اجتمعت على إصدار مجلة الأحوال الشخصية الإرادة الدينية والمدنية لأنها ثمرة القيم التي تنامت في العصر بحكم تطوّر المجتمع وتفاعله مع الواقع الذي اقتضته الأفكار والرؤى الحديثة الإجتماعية منها والسياسية."

الرئيس زين العابدين بن علي - 13 أوت 1992



مراجع ومصادر:

- 1- خطاب الرئيس: زين العابدين بن علي في الذكرى الخمسين للإستقلال: 20-3-2006
- 2- الدكتور جعفر ماجد: حضور المرأة في الخطاب السياسي والاجتماعي للظاهر الختاد في الثلث الأول من القرن العشرين - مدين - جويلية 1993
- 3- الدكتور أبو بكر الأحزوري: ندوة المولدية بالقصوران 4-5 أفريل 2006
- 4- المفكر التونسي عفيف الأخضر: الحداثة التونسية في عيدها الخمسين عن مجلة الملاحظ عدد 677 ص 16
- 5- جدلية العقل والشرع: لائحة مجلة الأحكام الشرعية



الخيال المجنّح والمونولوج الداخلي

في قصص "في انتظار شيء ما"

بقلم : حسني سيد لبيب

- القاهرة -



ثمة عناصر عديدة يمكن الدخول منها إلى مجموعة قصص أسامة قرمان الأولى "في انتظار شيء ما" * . في قصصه صوتان، أو أن السرد عنده يبنيه على مستويين. الأول: صوت واضح جلي يعبر عن الموقف، وصوت ثانٍ داخلي يعبر به الشخص عن نفسه. ويحسن بنا الحديث عن المونولوج الداخلي الذي برع فيه، ووظفه توظيفاً جيداً ليضيف إلى فيض الأحاسيس عمقاً وإشراقاً للخيال، الخيال النفساني: أحياناً يقتصر حديث الشخص مع نفسه على سطور قليلة، فيضعها بين قوسين، وأحياناً أخرى يدع صيغة المتكلم تطفئ على القصة كلها، فيصير السرد كله مونولوجاً داخلياً، كما في قصة "هاتف" .. وهي من القصص المجنحة الخيال. صيغ خطاب السرد من بداية القصة إلى نهايتها مونولوجاً داخلياً، عن حبيبته التي طواها الثرى، عن الحب الذي غزا قلبه بعد فوات الأوان. لغة الوجدان تعانق لغة الإحساس الحاد بالعالم الخارجي، وإن بدا هذا العالم كجمل اعتراضية، من خلال أغنيات شنت أذنيه ورسمت عالمه الرومانسي، ومن خلال أحداث العالم الخارجي وهوومه،

ومن خلال براد الشاي الذي نسيه على الموقد حتى جفت المياه تماماً، فسارع يعد كوب شاي آخر، ومن خلال المرأة التي فضحت شعره الأبيض. ما تقوله القصة يتلخص في أننا قد لا نتدارك أموراً نخصنا إلا بعد فوات الأوان!

ومن القصص الجيدة قصة "سراب"، التي تتسم بالعاطفة الجياشة، عن شاب انقطعت صلته بمن يهواها، لكنه التقى بها بعد أن خطبت لآخر. تعلق بأمل واه كالسراب. الملاحظ على الكاتب أن بعض قصصه تتسم بمسحة رومانسية، يساعده في هذا أسلوب راق وخيال مجنح.

في قصة "خيوط عنكبوت"، عبر عن معاناة الإنسان المصري بدخله المحدود في مواجهة غلاء المعيشة. زوج ينتظر صديقه الذي وعده بفك ضائقته، يطول به الانتظار وهو قابع في الشرفة. تحذره زوجته من البرد، وتطلب منه الدخول، كأنها تفيقه من خيال نسجه عن وفاء الصديق. ولا يجني من هذا الانتظار إلا نسج خيوط عنكبوت واهية، رمزا موحيا معبرا. الانتظار عنصر بارز في القصة، انتظار من لا يجي، وقد عبر عدد من المبدعين عن لوعة الانتظار، نذكر منهم الشاعر حسين علي محمد في قصيدته "انتظار التي لا تجي".

معاناة مادية أخرى في قصة "كل شهر"، عن رب أسرة لا يكفيه راتبه. يواجه متطلبات صعبة التحقيق، ويموج داخله إحساس بمرارة الحياة. إلا أنه ما زال يترنم بكلمات أغنية قديمة، ويبحث عن واحة في الصحراء. الناس لا تعرف لغة غير لغة المال، والزمن لا يتيح فرصة

لكلمات الحب والحنان وبدلاً من أن يتمنى قتل صاحبة البيت التي تطالبه بتكاليف الإصلاح، أو مواجهة زوجته التي تحمله أعباء المصاريف، فكر في الهرب مما يعاني من جذب الروح، فكر في الرحيل، وفراق هذا العالم! وعلى هذا النحو نقرأ "سبعير سبتمبر" عن ضائقة مالية أخرى.

وفي قصة "الحكم"، نجد الهم الشخصي يطغى على الهم العام. يعجز المحامي عن قراءة ملفات القضايا، نتيجة خلافه مع زوجته، وحدثها معه. لكنه يستجمع شجاعته ويعود إلى البيت بعد أن وصل إلى قرار لا نعلمه، ربما القرار يتعلق بمواجهة المهانة التي يتعرض لها دائماً. قضية المحامي المتعلقة بذاته أهم من كل القضايا التي يتراجع عنها.

وقصة "الولد" تدور حول زوج يتمنى أن تنجب زوجته ولداً يحمل اسمه، لكنه رزق منها بثلاث بنات. وفي الحمل الرابع، تتعسر الولادة.. ولا نجد إلا نظرات الطيب الغامضة، وكلمات حبيسة حائرة على لسانه.. و"الطبيب مذعور يحاول الفرار من العيون التي تحاصره من كل صوب، والأيدي لا تكاد ترتفع وتسحب لسانه لينطق. يبدد الصمت صوت رنين ساعة الحائط ذات الأرقام السوداء.. تعلن ضياع ساعتين من عمر الزمان".. بهذا الحشد المصور للمأساة يسدل الستار على الأمنية التي تغذي أحاسيسه سنوات عديدة، وافتقدها الآن!

أما قصة "ظهور وجه القمر"، فتصور مرارة هزيمة يونيو 68، وحلاوة انتصار أكتوبر 73، بسرديتين متوازيتين، الأول انتظار المدرس انتهاء مرحلة اللاسلم واللاحرب، وتحقيق النصر، والثاني تأجيل

زواجه من حبيبته إلى ما بعد الانتصار.

ثمة معاناة من لون آخر، في قصة "عيون الآخرين"، عن شخص يتوهم الآخرين ينظرون إليه ساخرين. يحاول الهرب من عيونهم. يتعقبه أمين شرطة ارتاب فيه، حين أسرع الخطى بطريقة غير طبيعية. وحين صارحه بأن عيون الآخرين تحدق فيه، ابتسم هو الآخر ساخرًا. تصور القصة عذاب الأنا حين تواجه بنظرات الآخرين، أو تتوهم ذلك. إلا أن تكثيف الفكرة بأقل الكلمات، ربما من باب المراوغة، جعلها حدوتة مختصرة لا نجعلنا نصل إلى حد الإشباع أو الاقتناع بالمضمون. والقصة في إطارها العام تحاكي مقولة سارتر عن أن الآخرين هم الجحيم.

أما قصة "في انتظار شيء ما"، فنجد حشداً من التحذيرات تقتصر على جملة واحدة "اقب إلى الإشارة". كأنها شفرة مطلوب منه حل طلسمها. لعله الخطر المحدق بالإنسان من التهور الذي فاق التوقع وجعل الكرة الأرضية ملتهبة بالموت والدمار والخراب. هل هي إشارة الخطر أم ماذا ؟

وتعد قصة "سقوط الأوراق الخضراء" نموذجاً جيداً للقصة القصيرة، يجيد فيها استخدام تقنية المونولوج الداخلي والفلاش باك. وأعتبره كاتب قصة يعرف كيف يصل إلى هدفه من أقصر طريق، فلا أجد تفاصيل زائدة أو حشواً لا فائدة منه.

الهوامش:

* صدرت المجموعة عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عام 2004م-92 صفحة .

البنية الجينية

للمجموعات السكانية الأندلسية بالشمال التونسي

بقلم الباحث : لطفي الشاربي

المرجعية التاريخية:

بعد أن تم الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، اتجه طموح الأمير موسى بن نصير إلى شبه القارة الأيبيرية التي أرسل لها جيشا يتركب من 12000 جندي على رأسه القائد البربري طارق بن زياد وذلك خلال القرن السابع ميلادي، وقد تواصلت الوفود آنذاك على شبه القارة الأيبيرية انطلاقا من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى أن تم فتح أيبيريا كليا وقد ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية هناك على جميع الأصعدة الأدبية منها والمعمارية والاقتصادية إلا أن تقسيم الخلافة إلى إمارات صغيرة وهو ما يعرف بعصر الطوائف (1031-1094 ميلادي) سهل على المسيحيين استردادها الواحدة تلوى الأخرى إلى أن سقطت آخر إمارة أندلسية وهي غرناطة سنة 1492 وهو تاريخ الاسترداد الكلي لأيبيريا. على إثر عمليات المضايقة والاضطهاد التي واجهها العرب المسلمون قرر الكثير منهم الهجرة. أما المتبقون من العرب فقد تم تهجيرهم بصفة كلية بأعداد كبيرة انطلاقا من سنة 1609 إلى شمال إفريقيا والدول المجاورة وهو ما يعرف في التاريخ بالطرد المورسكي.

لقد كان للبلاد التونسية النصيب الأوفر من الوافدين إذ يذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن بلادنا قد استضافت أكثر من ثمانين ألف وافد

أندلسي خلال هذه الفترة وهو عدد كبير مقارنة بعدد السكان في تلك الفترة وقد تم تجميعهم في مرحلة أولى في قلعة الأندلس ثم وزعوا على الشمال التونسي أين أقاموا مدنا وقرى خاصة بهم في ثلاث جهات أساسية وهي كالآتي:

***على ضفاف وادي مجردة ونذكر بالأساس: تستور، السلوقية، غريش الوادي، مجاز الباب، طربة...**

***في بئر ت وضواحيها: العالية، رفراف، منزل جميل، قلعة الأندلس، غار الملح.**

***منطقة الوطن القبلي: بلي، نيانو، سليمان، نابل.....**

يذكر التاريخ أهمية المورسكيين في تلك الفترة حيث أثروا مختلف جوانب الحياة الاقتصادية وذلك بإدخال تقنيات الري ومشاتل خارجية في الميدان الفلاحي كما أدخلوا عدة صناعات كصناعة الشاشية أما في المجال الفكري فقد كان لهم الفضل في تنشيط الحركة الثقافية والأدبية للبلاد كما أثروا الجانب المعماري والهندسي وعادات اللباس والأكل والموسيقى (المالوف) وتميزوا في عادات أفراحهم التي توارثتها عنهم الأجيال الموالية.

ويعرف الأندلسيون أساسا بألقابهم المشتقة من ألقاب إسبانية نقلت إلى العربية مثل زيبس ماركو، مركيكو، البتور، مريشكو، بنتيرو، جورشي، اندلسي، بن فريجة، بن موسي، صانشو....

غير أن السؤال الذي يبقى مطروحا في هذا الصدد هو هل أن الوافدين على البلاد التونسية في تلك الحقبة كانوا من سلالة الفاتحين

لأيبيريا في القرن السابع ميلادي أم هم من سلالات أوروبية أثرت تنوع الموروث البيولوجي؟

1- البيولوجيا الجزيئية ودراسة العشائر الإنسانية

منذ آن تم اكتشاف الوسائل البيوتكنولوجية لدراسة الحمض النووي المنقوص الأكسجين DNA المكون للبرنامج الوراثي للكائنات الحية يسعى الباحثون لدراسة أصل الإنسان انطلاقا من التنوع الوراثي للمجموعات البشرية وكيفية غزو الإنسان لقارات العالم وقد مكنت دراسة DNA المتقدرة من الإجابة نسبيا عن هذه الأسئلة، من ثم القول بأن الإنسان قد وجد منذ ما يقارب الـ 130.000 سنة في القارة الإفريقية وقد غزى بقية قارات العالم انطلاقا من هذه القارة الأم فكانت آسيا منذ 100.000 سنة تقريبا ثم أوروبا وشمال إفريقيا (49.000 سنة) وأخيرا وحديثا أمريكا (15.000 سنة) غير أن هذا الغزو التدريجي قد ترك بصماته على الجينوم البشري منها تلك الطفرات المميزة للقارات والطوائف الموجودة على DNA المتقدرة والصبغي Y.

تميز القارة السمراء بثلاث مجموعات كبرى لـ DNA المتقدرة (L1, L2, L3) والقارة الأوروبية بـ 9 مجموعات (H, V, J, T, K, M, N, W, X, U) أما شمال إفريقيا وتحديدًا البربر فيتميزون بالمجموعة U6. هذه المجموعات الكبرى تنقسم إلى مجموعات ذات توزيع محلي. كما أن اكروموزوم Y المتوارث من الأب لأبناء الذكور تحتوي على هذه البصمات وبالتالي فهو يعيد بناء تاريخ العشيرة انطلاقا من الأب وهو ما يعني انه لدراسة العشيرة يجب أن

ندرس DNA المتقدرة والصبغي Y لتكون إجابتنا أكثر موضوعية. نتم في هذه المداخلة بدراسة الأندلسيين بالشمال التونسي وقد وقع الاختيار على العشائر الأربعة الأساسية وهي تستور، السلوقية، العالية، وقلة الأندلس في هذه المناطق أخذنا عينات دموية لأشخاص ينتمون إلى عائلات أندلسية وفي المخبر استخرجنا من كل عينة الـ DNA الكامل ودرسنا DNA المتقدرة والصبغي Y بغية تحديد أصول الإناث والذكور في هذه المجموعات. إثر ذلك قمنا باحتساب متغيرات وراثية وإحصائية وقارنا هذه المعطيات مع تلك المتواجدة بالقاعدة المعلوماتية العالمية.

2- الأندلسيون بتونس: بنية وراثية شمال إفريقية وليست أيبيرية

لقد أثبتت هذه الدراسة أن هذه العشائر الأندلسية التونسية المدروسة لها بنية وراثية شبيهة بالعشائر الشمال إفريقية المدروسة سابقا وذلك باحتوائها على نسبة كبيرة من الأصول شبه الصحراوية والشمال إفريقية لـ DNA المتقدرة، هذه الخلاصة أثبتناها أيضا بدراسة الصبغي Y المتوارث من الآباء.

وهو ما يعني أن الوافدين على تونس خلال بداية القرن السابع عشر كانوا أساسا أحفاد الفاتحين لاسبانيا في القرن السابع ميلادي.

من المعطيات التاريخية التي تتوافق مع هذه النتائج المخبرية نذكر

* الوافدين من اسبانيا أصبحوا يمثلون أقليات منذ ما يزيد عن القرن وذلك على علاقة إما بالهجرة أو بالأوبئة التي مرت بها البلاد.

* اختلاط الأندلسيين ببقية سكان البلاد بداية من القرن التاسع عشر.

* وجود فئة من المتساكنين غير أندلسيين أخذوا ألقاباً أندلسية بغية التمييز.

3- الطابع الفسيفسائي للعشائر السكانية لتونس:

تتم الأستاذة آمال القعيد منذ أكثر من عشر سنوات بمعية فريق بحثها

بدراسة العشائر التونسية بداية بالجنوب التونسي حيث تمت دراسة

* جزيرة جربة (العرب، البربر والسود)

* العشائر البربرية بمطماطة، شني، الدويرات والسند

أما بالشمال التونسي فقد تمت دراسة:

* المجموعات السكانية بكسرى، الزرية، وولهازة (الصخرية بتستور)

* المجموعات السكانية الأندلسية (تستور، السلوقية، العالية وقلعة

الأندلس).

* المجموعات السكانية بإقليم تونس الكبرى.

إن تحليلنا للبنية الوراثية للـ 14 مجموعة سكانية المذكورة أعلاه من

خلال DNA المتقدرة أثبتت الطابع الفسيفسائي لهذه المجموعات

السكانية، إذ أن التحاليل الإحصائية المتداولة في علم وراثية المجموعات

أثبتت غياب الطابع الاثني في وطننا إذ لا فرق بين مجموعات بشرية

عربية وأندلسية وبربرية، ولا فرق بين جنوب البلاد وشمالها كما لا فرق

بين العشائر القديمة والحديثة. أن هذه المجموعات البشرية هي فسيفساء

لأصول متنوعة شرق أوسطية، أوروبية، شمال إفريقية وشبه صحراوية

وهو ما يثبت أن بلدنا كانت ملتقى الحضارات منذ عصور ما قبل

التاريخ وهو ما يثبت عمر هذه الأصول، هذا الطابع الفسيفسائي

للعشائر التونسية يظهر جليا من خلال توزع الأربعة عشرة منطقة مدروسة في المسطح الإحصائي الذي اعتمدنا فيه على المسافة الجينية بين 51 مجموعة سكانية عالمية، حيث تتوزع مجموعتنا دون اعتبار للأصل الجغرافي والاثني.

خلاصة

تعتبر بلادنا من أثرى البلدان تنوعا على الصعيد الوراثي ويعود ذلك إلى قدم استيطانه منذ العصور الحجرية القديمة وأيضا إلى توالي الحضارات عليه من اتجاهات وطوائف مختلفة . هذا التنوع يبرز من خلال جوانب أخرى كآثار تلك الحضارات وأيضا في العادات والتقاليد المتنوعة.

أشرف على هذه الدراسة ووجهتها السيدة آمال القعيد أستاذة جامعية ورئيسة قسم السولوجيا ومديرة مخبر الوراثة والمناعة والأمراض البشرية بكلية العلوم بتونس

كما ساهم من جامعة بورتو بالبرتغال الأستاذ الجامعي أنطونيو اموريم والباحثة لويزا بيريرا

ساهم في هذه المداخلة من كلية العلوم بتونس

السيدة بسمة يعقوبي وسلاتي أستاذة مساعدة

السيدة هاجر النافع أستاذة مساعدة

السيد حسين خوجة الخليل أستاذ مساعد وباحث

المراجع :

- **Torroni A.**, Huoponen K., Francalacci P., Petrozzi M., Morelli L., Scozzari R., Obinu D., Savontaus M.L. and Wallace D.C. (1996) Classification of European mt DNAs from an analysis of three European populations, *Genetics*. **144**: 1835-1850.
- **Abdul-Wahab H. H.** (1917) Coup d'oeil général sur les apports ethniques étrangers en Tunisie, *Revue tunisienne*, Tunis 305-316.
- **Chen Y.S.**, Torroni A., Excoffier L., Santachara-Benerecetti A.S. and Wallace D.C. (1995a) Analysis of mt DNA variation in African populations reveals the most ancient of all human continent - specific haplogroups. *Am. J. Hum. Genet.* **57** : 133-149.
- **Fadhlaoui-Zid K.**, Plaza S., Calafell F., Ben Amor M., Comas D. and Ben Ammar El Gaaied A. (2004) Mitochondrial DNA Heterogeneity in Tunisian Berbers *Ann Hum Genet* **68**,222-233
- **Khodjet El khil H.**, Triki- Marrakchi R., Yaacoubi-Loueslati B., Langaney A., Fellous M. and Ben Ammar El Gaaied A. (2001) Y chromosome microsatellites variation in three populations of Jerba island (Tunisia). *Ann. Hum. Genet.* **65** : 263-270.

Yacoubi-Loueslati B., Cherni L., Enaafaa H., Khodjet El-Khil H., Pereira L., Amorim A., Ben Ayed F., El Gaaied A.. (2006) Islands inside an island: reproductive isolates in Jerba Island. *Am. J. Hum. Biol.* **18**:149-153



بين تعليم الكبار وتعليم الصغار

بقلم: عبد الكريم الخلصي

الكلمة المكتوبة هي كلمة السرّ التي تفتح أبواب كلّ الحريات والقراءة والكتابة هما ميلادنا الثقافي في هذه الحياة. وحين نحققها نعيش حياتنا مرتين، فرنسوا نورساير-اليونسكو 1991 يتحيز الفكر التربوي حجر الزاوية في بناء أية منظومة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية بما له من علاقة جدلية مع النجاح أو الفشل لذلك انصبّ اهتمام المنشغلين بإعداد الأجيال منذ أرسطو (المعلم الأول) ليتطور نسق الفكر التربوي بوتيرة عالية في اتجاه إزاحة الأسحة الدوغمائية للتربية التقليدية القائمة على التلقين ومماهات النماذج المغلقة الواقعة في دائرة إعادة المعرفة لا انتاجها.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لعل أولى الخطوات في هذا الاتجاه انطلقت مع النهضة الأوروبية منذ أكثر من قرنين حين قامت الثورة البروتستانتية وبدأت علمنة المجتمع واستقل السياسي عن الديني. وتميّزت العلوم وانصب الجهد البشري على البحث في الذات وعلاقتها بالطبيعة وقلبت الإلهاء إلى انسياء سواء عند (أوقست كونت) مؤسس علم الاجتماع و (إميل دور كهايم) أو (ميتسكيو) قبلهما في (روح الشرائع) ليزداد نسق البحث في المسألة الاجتماعية -التي محورها التربية- حديثاً. بما أحدث من ثورة في مناهج التربية، إذا كان ما طرحناه في سياق عام فهل تنبّهت المنظومات التربوية

ومناهجها الحديثة إلى ضرورة التمايز بين تعليم الكبار وتعليم الصغار؟ وماهي شروط إنجاح عملية النقل التربوي إلى الكبار؟ أنعلم الكبار كما نعلم الصغار؟

من البديهي أن تختلف الطرق والأساليب في التعامل مع الكبار لطبيعة الاختلاف بين الفئتين، فإذا كانت الفئة الأولى تتميز عن الثانية بالقابلية الكاملة (الإستعدادات وعذارة الفكر....) للتلقي والبناء الذهني والعلمي عبر الطرق البيداغوجية المناسبة من تشكيل شخصية الطفل مبكرا عبر مراعاة توازن فعالياته الأربع (الفكر، الوجدان، القول، العمل) في نسق تطوري تصاعدي يتماشى طردا مع مستواه الدراسي والعمرى ووضعته الاجتماعية لكون التربية موصولة بالبيئة الاجتماعية، طبقت المناهج الإحصائية الاجتماعية على وضعيات دراسية عبر السير الذري والإحصائي للدارس لتصل إلى أن نسب النجاح بين أبناء الطبقات الاجتماعية المتيسرة والمستقرة أكبر بين هذه الفئات مع عدم إغفال الاستثناءات في الطبقات المحرومة. فإذا كان الأمر كذلك مع المتعلمين الصغار فكيف يكون مع المتعلمين الكبار؟ لا يسعني. في هذا السياق إلا أن أستحضر قول أو قيسـت كـونت "لا يجب أن نعلم الصغار على أنهم كبار"

ولأقلب الصياغة "لا يجب أن نعلم الكبار على أنهم صغار" وهذا له دلالات بالغة الدقة حين يجد الباحث نفسه أمام متعلمين كبار لهم أسبابهم في الالتحاق بهذا النوع من التعليم سواء لتدارك ما فات من خيبات أمل في التحصيل المدرسي والنجاح أو بما فرضه وقع الحياة المتسارعة التغير

على نسق سريع لتذليل بعض الصعوبات النفسية و الاجتماعية والمهنية والتسريع بالاندماج في سياق الحداثة و مستلزماتها الأساسية (إستخدام الهاتف، قراءة خبر، فواتير، تعامل) والخروج تدريجيا من الأمية الأبجدية لتجاوز أنواع أخرى من الأمية كالأمية الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية والرقصة والانخراط في سياق مجتمع المعرفة والتنمية الشاملة بأبعادها المختلفة وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا بتقليص نسبة الأمية في بلادنا إلى أدنى مستوى يمكن أن نصل إليه (20% سنة 2004) والتي لم يتحقق إلا بنسبة 22.9% إننا في تعاملنا التربوي مع فئات عمرية متقدمة في السن لها مشاغلها وهمومها اليومية المعقدة وتجاربها الخاصة في الحياة نجد أنفسنا مجبرين على تغيير إستراتيجيتنا في التعامل بدء من الحالة النفسية إلى الحالة الاجتماعية إلى مستوى التركيبة الفيزيولوجية والعقلية والبيئية"

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فإذا أدرك المربي كل ذلك ووضع في الاعتبار طبق الاندراغوجيا في التعامل مع هذه الشرائح الاجتماعية ليحقق التواصل الإيجابي مع المتعلمين، بمعنى آخر معاملة هؤلاء على أنهم كبار. لا صغار فلا يضع نفسه موقع الباحث مصدر المعرفة والعلم ومحور العملية التربوية كما في المنظومات التقليدية التي تكرس النظرة الفوقية للمربي.

إننا وبإزاء هذا البرنامج المستحث (البرنامج الوطني لتعليم الكبار) يستوجب جملة من الشروط المتداخلة والمتناغمة في آن منها ما يتعلق بشخص المربي وطرائقه في التبليغ عبر إثارة فضول الدارسين وترغيبهم في المعرفة وتوخي مناهج تتيح التفاعل بينه وبينهم بحيث تتعزز ثقة

الدارسين بمدرسهم مما يسهّل عمليّة النقل التربوي فتتحقق النجاحات وتزداد الرغبة في التحصيل.

أما الشروط الّتي تخص الدارسين فهي الرغبة في التعلم والمواظبة في الحضور الفاعل ذهنيا و وجدانيا وتضافر كلّ الشبكات المساندة للبرنامج الرّئاسي الرائد. ليتحقق الغرض وهو التحصيل والاستفادة الّتي قد لا يكون مصدرها المدرس بالضرورة بل رفقاء الفصل أحيانا بما يثار من نقاش حول المقرر التعليمي بحيث يتدربون على بناء مواقف ذاتيّة معقولة تسهل لهم تحليل الأمور بعقلانيّة بعيدا عن التّزعة الدوغمائيّة الوثوقيّة السائدة وهو مطمح تعمل المؤسسات والأجهزة المعنيّة على تحقيقه كمطمح وطني وقومي.

إنّ لتعليم الكبار مرامي وغايات وأهدافا يصعب حصرها تأتي في مقدمتها الرغبة في بناء مجتمع المعرفة لدخول القرن الواحد والعشرين برأس مال بشري هو الثروة الحقيقيّة للأمة وهو الرهان المستقبلي للدولة، أمة متعلمة تخطو بخطى ثابتة نحو التّرقى والمعرفة لتدشين عصر ما بعد الحداثة.

وفي هذا الإطار يتّزّل قول رئيس الدّولة زين العابدين بن علي "إنّ من مقومات الاستثمار في المعرفة تكريس مبدأ النّعلّم مدى الحياة"

خواطر حول....

فواجع الموت ومظاهر الوفاء في شعر الشباب (شعر المنذر العيادي أمثودجا)

بقلم : البشير التلمودي

المنذر العيادي شاعر شاب بدأ يمارس الكتابة منذ مدة ويتحسس طريقه إلى النشر منذ انضمامه إلى النادي الأدبي (أصوات الحرية) وذلك عبر النثرية الداخلية للمكتبة العمومية بالنددان.

انتقل بعدها إلى فضاء أصوات الملحق الثقافي لجريدة الحرية بتشجيع مشكور من الشاعر عبد السلام لصيلع الذي شاطرونا الرأي في أن هذا الشاب الواعد له من الإمكانيات ما يتيح له مستقبلا تبوأ مكانة مرموقة على قائمة الشعراء التونسيين.

المنذر العيادي استطاع بحكم نشاطه وذكائه وإصراره على مواصلة التجربة أن يحقق في ظرف خمس سنوات ما لم يحققه غيره في وقت أطول وأن يحيط نفسه بعناصر أدبية لها مكانة محترمة على الساحة الثقافية كعبد السلام لصيلع ويوسف رزوقة وناجي بن جنات وجمال الدين الكرمائي والمنصف المؤذن وعلي المسعدي منتج ومقدم البرامج بإذاعة تطاوين مما سمح له بأخذ النصيحة وتطوير تجربته نحو الأحسن.

والمتبع لهذه التجربة يلاحظ كما لاحظنا أن المنذر العيادي عمل منذ سنة تقريبا على الخروج من البوتقة الضيقة التي كان يرسم فيها كلماته

وبدأ يتخلص تدريجياً من مواضيع الحب التي غرق فيها طويلاً والتي أفرزت لديه لوحات متشابهة ولم يكن ليبدع بعدها لو لم ينعقد من شرنقة التكرار السابق التي حشر نفسه فيها قرابة العقد من الزمن... ورغم أن لكل تطور أسبابه يمكن القول أن المنذر العيادي الذي شاء القدر أن يفقد أمه "الشهباء" الحبيبة أحس وهو الشاب المراهف الإحساس بالخنجر ينغرس في قلبه ككل محب عاشق ولهان صادق. وهل ثمة أصدق وأعمق من حبّ الابن الوفي لأمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر خوفاً وحباً وعذاباً ونام على صدرها عقوداً طويلة عشقا وإخلاصاً ووفاء؟

نكاد نحزم بعد كلّ الذي عشناه ورأيناه وقرأناه بخصوص الحب والحنين والوفاء أن لا شيء يجعلنا نؤمن بهذا الذي نتحدث عنه اللهم إلا بمقدار يدخل في تحاة "الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه" لأن الواقع المر الذي يحياه كل منا يؤيد رأينا في الموضوع ولعل البعض منا يذهب إلى أبعد من ذلك حين يقول "كلما تعمقت في النفس البشرية ازدادت تقديراً للكلاب" فقط لأن الكلب هو عميد الأوفياء في الدنيا ومئات القصص والأحداث تؤيد هذه الحقيقة في حين أن قصص الوفاء لدى البشر وغير عصور محدودة جداً... جداً.

ولعلّ من مميزات المنذر العيادي الذي أعرفه منذ أكثر من خمس سنوات هذا الوفاء لكل من أحب.. فالرجل يشيع أبسط لمسة حب تقدمها له وأصدق تشجيع تسوقه إليه وأنبل نصيحة ترفعها إليه.. من

أجل ذلك ارتأينا الحديث عن بعض أشعار الحنين والوفاء لديه كنموذج لهذه العواطف السامية التي تكاد تنعدم في الشعر العربي الحديث كان الشعراء لم يعد لهم أمهات ولا آباء ولا عزيز لديهم أحبوه.

في يوم من أيام شهر أكتوبر الماضي رمادي اللون بكت فيه السماء في صمت مع المنذر "هذا الطفل الكبير" الذي خطفت منه الأقدار والدته "الشهباء" العزيزة خطفتها منه كما تختطف الريح الهوجاء أوراق الورد العاشقة تذروها هكذا في العاصفة تاركة كأس الدموع والحرمان في يد الشاعر المرتعشة دوماً.

يقول الشاعر ناجي بن جنات في قصيد أهداه للشاعر بالمناسبة :

ستبدأ الحلم مرة أخرى

وتسقي الورود التي كنت تحب

وتذكر حينها زمناً عجيباً

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

كنت على خطاياها نبياً

بحجم المقادير التي أرهقتك

برغم المواويل التي حاصرتك

وطول الليالي التي جربت فيك اختلافات المدى

وكان ناجي بن جنات عرف أن ما نفخه من موساة وأمل في عروق

الشاعر المجروح غير كاف لإعادة الروح إلى جسده المنهار فأضاف:

سترجو الشهباء التي غادرتك

حتى تعيد إلى وجهك الشوق

ولو برجع الصدى

ستدعو على شموك سهر القصيد

وتعزف للريح حنين وشعرا

وترحل قمرا ونجما

وترسم وطننا ودفنا

في تراتيل الجوى

ولما تيقن بن جنات من عودة الوعي لصديقه العيادي وتوقه لمعانقة
خيال حبيبته "الشهباء" التي رحلت ولم ترحل همس في أذنه قائلا:

حارس العمر أنت

حارس العشق إن شئت

فلا تبح لغير صوتك بالنشيد

ولا تلق لغير قلبك هذا الهوى

الصحافة 4 نوفمبر 2005

لكن تجري الأحداث بما لا يشتهي الشاعر الشاب الذي ضحى
بأحلى أوقات العمر في سبيل حبيبته "الشهباء" ناسيا نفسه ومتناسيا
حتى عواطفه الشخصية لأنّ التي أحبته وأحبها أصبحت مريضة وباتت
طريحة الفراش وكل يوم يمر كان كتلك الأوراق الصفراء الجافة التي
تسقطها أضعف نسيمات الخريف فأخذت بشرة "الشهباء" الوردية لون
شمس الغروب يغلب عليه شحوب الوداع الأخير لكن ابتسامة الحبيبة
الأولى لم تغرب في وجه الابن العاشق الصغير حتى يبقى وجهها القمري

ملأه الأول والأخير في هذا العالم العجيب الموحش القفر من دون
خيالها المسافر كالخلم عبر ضباب رمادي حزين وكأن المنذر العيادي لا
يريد أن تلاحظ أمه الحبيبة أحزانه و خوفه عليها فيمسح أولى دموعه
الساخنة وهو يراها كالظلّ على فراش المرض فيخاطبها في ألم:

لا تلومي العين يا "شهباء"

إن بكثك يوما كالخنساء

فإنها تكره أن تراك

على هذا السرير

تتألمين في صمت مرير

تنتظرين من يسند ظهرك

أو يعطيك كوبا من الماء

قال لها ذلك حتى تعرف وتلمس جيدا عجزه ورفضه للحالة التي
أصبحت عليها وتحقق من أنه يتمنى لو قدم لها خدمات أخرى كان
من المفروض أن يقوم بها شخص من جنسها أو أن يعود لها نشاطها
المعهود حتى تقوم وتنهض وتتكلم وتعبّر عن حاجاتها بنفسها لكن هذا
المرض المفاجئ لم يشأ ذلك بل زاد فألبسها وشاحا من شحوب وأغلاها
من الإعياء والتعب.

إنني لا أدري يا "شهباء"

أي شحوب خيم على وجهك

ولا أدري كيف كبل رجلك التعب والإعياء

هذا ما قاله لها في سره وهو ينظر إلى وجهها البهي بعينين زائغتين
دامعتين لكن وحتى لا تلاحظ أكثر حزنه العميق يبتسم لها ويشد على
يدها الهشة الدافئة ويقول:

صدقيني يا شهباء

إنني مازلت أراك

فتية.. قوية.. صابرة

حتى وإن مشيت على الأشواك والجمر

حتى وإن عرضوك لقرص الشمس في الصحراء

وفي قرارة نفسه يعيش الشاعر حيرته الدائمة على هذه المرأة المناضلة التي
دأبت على النهوض باكراً للتعبّد في محرابها وسط هالة من خشوع جلي
تناجي الله بآيات بينات وأدعية بحالصة وهي باسطة كفيها المضرجتين
بالحناء وتذكر يديها المتعبتين كيف تعالجان الرحي وتكسّر
الحصى.. فتعانق رائحة جمال الأمومة بصلابة نضال الحياة من أجل الغير
من أجل أفراد عائلتها الذين قلما تفتنوا إلى تلك الأشياء الصغيرة التي
تأخذ في قلب الابن حجما لا يعرفه غالبا إلا الشعراء.

إنني مازلت أراك

تستيقظين باكراً للضحى

تتعبدن في محرابك

وفي خشوع تناجين رب السماء

إنني مازلت الملح في يدك عنفوانا

يكسر الحصى يحرك الرحي

ويدهشني شفق أحمر

أرتسم على كفي يدك

يفوح برائحة الحناء

ويصمت العيادي قليلا كما لو انبثق في أعماقه سؤال إنكاري مؤلم

طرحه في سره حتى لا يرش الملح على جراح من أحب فقال:

هل تذكرين يا "شهباء"

كم كانت دارك مفتوحة

للعابرين المتعبين من الغرباء

وكم كنت تعشقين البساطة

وتحبين فعل الخير

وتجلسين إلى البؤساء والفقراء

تعطفين عليهم

تبدلين بأسهم أملا

وتبيلين شفاههم الحزينة

بماء الورد والعطرشاء..؟

الشهباء الحرة الملحق الثقافي 13/أكتوبر/2005

ورغم صمت "الشهباء" العليلة تراءى له من خلال نظراتها الذابلة

وابتسامتها المعيرة ماض قريب سافر به حنينه إلى "الحي المفقود" حيث

بيت العائلة العتيق والأهل والأصحاب والصدیق إنه البيت الذي شهد ميلاد الشاعر فكيف لا یحن له للبحث عن جذوره والجلوس تحت شجرة الأجداد؟ وهو الحی الذي احتضن ألعاب طفولته وذكرياته معها بل لقد صرح العیادي أنه كثيرا ما رسم أحلامه وأجمل أمنياته على أسواره الجميلة وخبأ في تراب هذا الحی أسراراً وشؤوناً كثيرة من حياته.

رجع الشاعر إذن إلى حیه القدم الذي كان أن يفقده بحكم عوامل التعرية التي أصابته رجع كما يرجع الابن البار إلى حضن أمه الحبيبة وفناء منزل العامر وغرفته الدافئة وأشياؤها العتيقة الغالية... جبة الأب وعصاه، برنسه الجميل، شاشيته الحمراء، سبحة أمه التي تعشق دفء أنامل أصابعها الرقيقة وخصلة من شعرها الطويل تقف شاهداً على جمالها التليد.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

لكن الحنين إلى الماضي الجميل لا يشمل البيت والأهل وشذى الوالدين فحسب بل تعدى ذلك لدى الشاعر إلى أشخاص آخرين أحبهم بكل قواه كما لو كانوا أفراداً من عائلته كالشيخ المؤدب الذي علمه ما تيسر من كلام الله وكالمعلم والمعلمة اللذين درساه وهذباه بل تعدى ذلك فعانق بحنینه مدرسته ومحفظته ولوحته وحتى قطعة الطبخور.

والحنين عند العیادي ظاهرة بارزة قد لا نجد لها بكثرة لدى الشعراء الشبان بحكم عدد السنوات التي مرت من حياتهم والأماكن التي عاشوها لكن عندما يكون الإنسان وفيما بطبعه يأخذ الحنين في وجدان

الشاعر حجما أكبر من حجمه المعتاد فتكون النتيجة أعمق وأصدق.
 إنَّ أعظم صدمة تصيب الإنسان الوفي حين يقوده الحنين يوما إلى
 حديقته الخضراء حيث كان يلعب مع أترابه عندما كان طفلا ولا يجد
 أرجوحته التي كان يخلق بها في عالم بلا حدود ولا يعثره على مصيدته
 التي دفنها في التراب لاصطياد العصافير ولا يلقي قفصه المذهب الذي
 قضى أوقات سعيدة في تهذيبه وتنظيفه.. إن من يعيش هذه الإحباطات
 يحس كما لو اهتمته مطبات الحبيبة في هذا الزمن الذي لا يفهم.

لقد أشار العيادي في قصيد (الحنين إلى الحبيبة المفقودة) الصحافة
 الورقات الثقافية 25/فيفري/2005 إلى نقطة سوداء في مستقبل وجوده
 لم يكن ليحس بها عن طريق الخلدس لولا وفاته العميق لوالدته وحنينه
 الدائم لأشياء الأمس لنستمع إليه يقول:

رجعت إلى حينا

أبحث عن حبيبة أحببتها

لكن القراصنة خطفوها

عن وردة زرعها بيدي

سقيتها من دمي

ولما أينعت قطفوها

ولم تكن تلك الحبيبة التي أحبها من كل قلبه وجوارحه وتلك
 الوردة التي دأب على العناية بصحتها وراحتها سوى أمه "الشهباء"
 الحبيبة.

لكن لماذا كل هذا الوجوم وهذا الحزن وهذه الحيرة أمام تغير أشياء الحياة لماذا يصبر الشاعر على أن كل شيء تغير إلى درجة أنه لم يتعرف على أي شيء "تغير المكان، لم أعرف الديار، لم أعرف أهل الحي، ما أوحش الشوارع، ما أكثر الموانع، كل المسالك غيروها، كل النوافذ والأبواب أغلقوها، حتى حانوت بائع الحلوى لم يتركوها".

وكان الشاعر تفتن إلى أنه من المبالغة تغير كل الأشياء وإلا لما تعرف الإنسان حتى على نفسه فأشار إلى أنه "لم يبق في الحي إلا زيتونة ونخلة وفلة، بيوت لا تشبه البيوت مقفرة وحزينة كبيوت العنكبوت وهينة، كلاب في الأرجاء تعوي لكنها من الحي لم تخرج".

أنظر هنا إلى إصرار الشاعر على التشبث بالفضاء الذي عاش فيه طفولته الغنية بكل الأشياء الحلوة وتلمس معي إحساسه المفرط بهذه العلامات التي لم تمسحها عوامل التعرية ولم تفسدها يد الإنسان والتي استطاعت أن تبقى شاهدة على أن الماضي لا يموت في قلب شاعر ينبض على وقع الحنين والوفاء.

ناديت بأعلى صوتي

أبي أين أنت ؟

أماه أين أنت ؟

أنا ابن لهذا الحي

وأبي كان من أسياده

دلوني على بيتي

هذا الفراغ العميق الذي أثث به الشاعر معاني أبياته و هذا الصقيع الذي نلمسه في كل كلمة من كلمات القصيد إن دلّ على شيء فإنما يدلان على أن شيئا خطيرا سيحدث.

وهذا ما استطاع العيادي أن يقنعا به دون أن يعرف حقيقته أو لعله كان يرفضها من الأعماق شأن كل عاشق لا يحب مفارقة حبيبته أو حتى مجرد التفكير في مفارقتها.

لكن حدس الشاعر أصدق حدس بشري لأنه نابع من إحساس مرهف لا يمسه الدنس.

كل العواطف مشبوهة إلا العواطف المتبادلة بين الأم وابنها إنها الأصدق والأعمق والأصفى والأدوم على الإطلاق.

وفعلا تختار الأقدار يوم 23 أكتوبر 2005 موعدا محمدا لرحيل "الشهباء" والدة الشاعر المنذر العيادي الذي نزل عليه قرار الرحيل الأبدي لأعز امرأة أحبها منذ عقود حبا لا يضاهيه حبّ وتфан لا يماثله تфан وتضحية لا تشبهها تضحية إنه الموت الذي لا يرحم إلا صاحبه أحيانا نظرا للحالة الصحية المتردية التي وصلت إليها الوالدة بعد معاناة مريرة صاحبته شهورا طويلة أقعدتها عن القيام بأبسط حركات الحياة فكان العجز وكانت الدموع وكان انتظار الموعد الأسود الذي يجب أن يأتي بلا تأخير.

ويفتح العيادي عينيه يوما ليحد نفسه وسط دوامة من الضياع والحيرة والحزن والدموع واليأس فكانت هذه الكلمات الدامية.

موتك يا شهباء دمري

حطمني

ذبحني من الوريد

إلى الوريد

موتك أفناني

أغرقني في الأحزان

أرداني أمشي كالمعتوه

كالشريد

هذه انعكاسات الصدمة الأولى التي رجحت كل كيانه عندما انتقلت روح والدته إلى الرفيق الأعلى ولم يبق منها مسجى على فراش الموت إلا الجسد البارد فتصوروا معي الحالة النفسية المريرة التي بات فيها الابن الشاعر وحالة الضياع الشنيعة التي طوقته كأسلاك الشوك.

منذ رحلت يا شهباء

لم يغمض لي جفن

ولم تتوقف دموعي عن المطول

آهات زفرات وتنهيد

منذ رحلت

لم أتحمس طلوع الشمس

فلا هل هلال علي

ولا حل عيد

هكذا وصف الشاعر حالته لوالدته بعد رحيلها وهو يعلم علم اليقين أن كلماته ستصل حتما إلى مسامع "الشهباء" التي لم يصدق إلى حدّ الآن أنها ماتت أفلم يقل جازما وبكلّ إصرار (الشهباء لم تمت...) "الحرية : الملحق الثقافي 24 نوفمبر 2005".

لكن يبدو أن الشاعر نسي في غمرة ذلك الوصف المؤلم لحالته النفسية أن سعادة الأموات هي في سعادة الأحياء وبخاصة أبنائهم الأوفياء فواصل ذلك الوصف وليته ما فعل لأن ما رسمه من أوجاع سيصل حتما إلى العزيزة الراحلة كما أشرنا وبالتالي ستألم في مكانها الهادئ وهو ما لا يرضاه لها حتما.



أصبحت أقسو عليها
أمنع عنها شهى الطعام
<http://archive.sakhrit.com>

وأنزع عنها اللباس الجديد
أصبحت قاسيا حتى مع غيري
فلا طفل غنى بمزمار أمامي
ولا نسوة أطلقن الزغاريد

يقول ذلك ويحول بصره إلى المأمور الذي خطف "شهباء" الغالية دون سابق إعلام ولا إشعار ولا مه غير أسئلة إنكارية كأنه يريد أن يجد مبررات مازالت تفرض نفسها لإبقاء والدته قربه.
آه يا موت إلك لا تدري

معزة الشهباء عندي
وقدرها المجيد
يا موت قل لي... أصدقني
أما أوصتك بشيء قبل الرحيل ؟
وهل وفيتها ما تريد ؟
أما حدثتك عن حلمها الوحيد ؟
تراني وأراها في كل حين
ولو بعاجل نظرة ولو من بعيد
أما حدثتك عن ولد اسمه منذر ؟
تحبه ويحبها بلا حد

جعل من خصلة شعرها بيتا للقصيد

أن يخاطب الإنسان طرفا لا يرى لمن أصعب الأشياء وهي ظاهرة
لمسناها عند الشعراء والمتصوفين أولئك الذين تحدث عنهم "ابن الفارض
سلطان العاشقين" ولعل المنذر أحد أولئك العاشقين الذين يركبون
بساط الموت للسفر إلى سماء الحياة الباقية.

فالإيمانه الراسخ بأن "الشهباء" لم تمت لا يعني سوى إيمانه بأن أمه
مازالت رغم رحيلها الأبدي تحلم "بابنها المنذر الذي تحبه بلا حد
ويحبها حتى الجنون".

آه يا شهباء ها قد رحلت
و شاء الله لك ما يريد

رحلت ولم تترك في الدار

إلا صورتك على الجدار

تكلمني .. تسليفي

تحكي عن ماضيك التليد

وكما يتحول البناء الصلب إلى كوم من حجارة بعد هزة زلزال
ينهار العيادي قرب ضريح "الشهباء" ويأخذ في جمع بقايا قلبه المهشم
ويحاول أن يعيد بقطعها الصغيرة المتناثرة وجهها الصبوح فلقد نبأ
قسمات حبيبته ونقشها على جدار فواده طوال العمر مثلما حملته في
بطنها تسعة أشهر كاملة قال يطمئنها على أمل اللقاء.

يا شهباء ما مت

بل أنت حية في قلبي

ويوم رحيك عندي

ميلادك من جديد

ولعل أحسن ما نختم به هذه الخواطر حول ما أنارته فينا قصائد
العيادي المشحونة حبا وألما ووفاء لأمه "الشهباء" الراحلة ما أذاعه
المنشط الإذاعي الأنيق العبارة علي المسعدي من على منبر إذاعة تطاوين
العامرة ذات مساء "9 نوفمبر 2005" عبر إحدى فقرات برنامجه الثقافي
المتنوع "صدى الكلمات" حين قال مخاطبا صديقنا الشاعر المكلوم:

عذرا ما للحزن أسكنك كلماته

فصرت إلى الدمع أميل

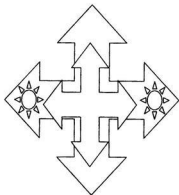
عذرا ما للأسى حاصرك والمدى
صير ليلك أطول
هذه الشهباء قلت لم تمت
فكيف تبكي من في القلب مسكنها الأفضل
هي هناك فيك... في حرفك والمعنى
في إرتعاشة الطرف منك هي الأمل
إن غادرت "الشهباء" يوما موضعا في الأرض
فهي فيك تحيا ولا تأفل

كأن علي المسعدي بهذه الأبيات الصادقة أراد أن يزرع في قلب
صديقه المجروح وردتين وردة حمراء للحب والوجد والألم ووردة بيضاء
للوفاء والسكينة والأمل.
حتى يثبت إن الحياة دمة وانتسامة والمؤمن من تقبل الأحداث برباطة
جأش وصدر رحب وما الرحيل الأبدى إلا سفرة رائعة إلى الرفيق
الأعلى يعقبها لقاء دافئ لا يعرف لذته إلا من آمن بالحب الخالص
والوفاء الدائم.

لقد عرف المسعدي كيف يحول عزاءه لصديقه في وفاة والدته إلى
نافورة سكونية وهدهد وتفاؤل فأسبغت على الشاعر الشاب وشاح
الرضى بحكم الله وقدره وهي لعمرى أجمل مواساة وأرهف تعليق على
ما رسمه العيادي من أشعار الموت والحرق والحنين والوفاء.
ختاما نشير على أن ما أنارته قصائد العيادي في رثاء أمه "الشهباء"

من ردود فعل ايجابية من لدن أدباء وشعراء كعبد السلام لصيلع وناجي بن جنات وعلي المسعدي وغيرهم ليدعو فعلا إلى الارتياح لأن ما أصبحنا نعيشه على الساحة الأدبية هذه الأيام من برودة العلاقات بين "الإخوة الأدباء الأعداء" وما تفرزه من مشاحنات "فارغة" وأحقاد لا تمت إلى الأدب بصلة ليدعو فعلا إلى الأسف والشعور بالمرارة على تلك الأيام الذهبية التي عشناها مع مصطفى خريف وأحمد خير الدين ومنور صمادح والهادي نعمان ومحمد الصالح الجابري والبشير خريف والهادي العبيدي ونور الين صمود وغيرهم من الأدباء الأفاضل.

فليعمل عقلاء الأدب اليوم على إعادة تلك العلاقة بينهم ولينهلوا من معين الشرفاء ما يساعدهم على مواصلة الإبداع وإثراء المكتبة التونسية والعربية والعالمية بكل ما هو جديد ومفيد لأن الزيد سيذهب جفاء حتما ولن يترك في الأرض إلا ما ينفع الناس.



اعتذرا... ب!

شعر : عبد الرحمان الكيلوطي

توطئة: (احترت في رسم عنوان هذه القصيدة، وذلك لشبه كبير بين ألفاظ محتواها، إذ هي اعتراف بالجميل واعتذار لما قد يكون لي من ذنب لم اقترفه، وعتاب عن جفاء صديق حميم. وهكذا امتزجت عبارات الاعتراف والاعتذار والعتاب... فإذا هي اعتذرا... ب)

فقدتلك...

أبها الحبل الصديق،

وكيف إليك يتضح

الطريق؟

نسيبتك؟

كيف انسى خير شهر

ومن في أصله...

دوما عريق؟

ومن في مثل خلقك...

يا رفيقي؟

ومن في بأسو إذا



صدر يضيق؟

ومن؟ ...

في حلولك التقي؟

وفي العينين ...

يلمع لي برق

ومن؟

في نجدتي يأتي سرعا،

وسعفني ...

إذا أصرعني؟

ومن؟

للجود يسبق فيه جرعا؟

ومن؟

له مثله ...

قلب مرقق؟

فمن بالله أمرجو ...

أو أنادي؟

إذا ما استأبني

حزن عميق؟



فقدتك

أن تغب... فانا حيس

وإن تحضر...

فاحساس طليق!

فلا تبخل علي...

بشد وطير

ينزل به...

عن النفس العيق...

ولا بضياء شمس...

في اكتمال...

بها سحب الظلام...

هنا... تحقيق!

فقدتك!

عد إلي...

سجرت خيرا-

فإني...

ها هنا بس الفرق

وجدد

عهد لقيانا

قربا

عسى من كبوتي

الكبرى...

أفبق !

فأنت أجل أصحابي

جميعا... وأنت

بكل مكرمة خلق

لذا أمرع جميلك...

في فؤادي...

ونكراني جميلك...

لا يلق !

ودع ما يفترى

بعض الأعادي...

فكل سعاية

جب سحق



"ألا أيها المطوّق بكلّ شعاع القمر"

شعر: سناء كامل أحمد شعلان

-الأردن-

ألا أيها المطوّق

بكلّ شعاع القمر

وبأس الليالي

وبوح السّهر

ألا أيها المستبدّ

المهيض الجناح بوجه القدر

سخرت بآتي شعبٌ ضعيف

من العشق أمام نير هواك المقتدر

ومالي اقتدار على ردّ قضاك

وهول اشتغائي

أمام هدير القبل

ولي نفس أمانة هواك

وأخرى لها من الأمر النصب

فدمت قضاي

ودُمت ابتلاي

ودُمت المفتتن

دعوتك لصبح النهار

وطعم الخار

ودنيا الخدر

دعوتك لمسك التلاقي

ولهمر تداني القلوب

وسحر يراع المقل

خلقتك من خفقات قلب

خنون رؤوم شهى الأمل

فكنت الليالي <http://Archivebeta.Sa>

وكنت الأماي

وكنت طوفان

قلب تحدى

حفيف الشجر

وشهيق الحجر

ألا أيها اللحظة المشتهاة

يمرّ العمر...

وتبكي الحنايا...

ولاتَ ذكراك أن تنكسر

ولاتَ صمتك أن يستعر

رسمتك شهوة

دعوتك لحظة

فكنت استيفاء السعادة

صنيعة ربّ الفتن

فمدّ يديك لتحتويني

فدون الجوع إليك

سراب الحكايا

وضوء القمر <http://Archivebeta.Sak>

خبرتُ الرياح

صنعتُ الحروب

وكنتُ على دنياك

أمرًا جليل.

فكنت انتفاضه

وكنت ابتسامه

قتيل حرّ القبل

قلو أن ربّ السماء أصطفاك إليه

لكنّك زعيم الغرام

رسول الألم

ولكن قلبي اصطفاك إليه

فكنّت الثواني، وكنّت زهو المقل

ألا أيها المطوّق

بكلّ شعاع القمر

وبأس الليالي

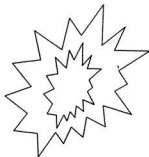
وبوح السّهر

دعوتك حلماً

دعوتك: <http://Archivebeta.S.S>

فوافيت سحرًا

وكنّت الرجل...



من أين ؟

الإهداء : إلى عنين يتوهج بريقهما وصفأوهما،

كلما اشتعلت عتمة الليل

شعر : توفيق العرقوبي

من أين أبدأ

والجرح ينبع فرحا ؟

من أين أبدأ

ووجهي لم يعد بيتنا ؟

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيها المتفجر في !

يا أيها الأسوار المطمئنة

أيها المتطير من دمه

..... ؟

أسير الهوى بلا قدمين

وأمتد حرا باثثة

أفتح أبواب التنوع

وأمرخي محبتي لمختلف الطيور

فأشرب بهجة الدنيا

وأنفخ مع الريح في حينها

ماذا يقول لك القصيد ؟

كيف تنام أعضاؤك في

امتحاح الشعر

من أين تهرب نحوها

..... ؟



ARCHIVE

ترسب الضمأ اللعين بي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وخلا كتاب الشوق

من سمك المعاني

سقط الشذى وكل الجواسيس

أفلت نجوم الليل

وامتد لي في الزحمة حجر

أنا

هؤلاء منذ فجر الطفولة

أنا الساعة... والخمرة... والشعر...

أنا هذا الفتى

وتلك الدهاليز

أمتد من حجر إلى شجر

وأبث أسئلتي،

هنا وهناك

أنا بيضة الدنيا

أنا الجسد الوحيد



فاقتربي...

أيها المسافة المحبلى

يا تذكرة الرحيل

لا تذري الماء سرايا

فأنا لاجئ،

ليس لي أي شيء

أو خيمة أعانقها

.....

وما زال الحنين يترف



شعر : المنذر العيادي

مازلت أحنّ

إلى أترابي

إلى مدرسة وفصل

إلى معلّم ودرس في الحساب

مازلت أحنّ

إلى طبشور ولوحة

ARCHIVE إلى شيخ ومؤدّب

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بجلس القرفصاء على حصير

حفظني آيات من الكتاب

مازلت أحنّ

إلى أترابي

إلى نرّ من كنا نسابق

ندخل من فتحة في النافذة

لنمرق من ثقب في الباب

ما نزلت أحزن

إلى العابي

إلى أرجوحة تدلى

إلى كجة ملونة

كم كانت على أصابعي تسلى

إلى خيط وخدروف

يدور على التراب



ARCHIVE

على مسامر في جدار

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

علقت عليه مرة

وجها من شبابي

ما نزلت أحزن

إلى صدى الشبهاء أمني

إلى حلوى من يديها

آه كم أسالت لعابي

ما نزلت أحزن

إلى خرافة لجذتي

عن شاة وعنينة

وقعتا ذات ليلة

في ورطة الذئاب

مازلت أحنّ

إلى عصفورة وهرة

إلى وفاء كلب

ليس كالكلاب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إلى كل من مرّ من هنا

فذاق من طعامي

أونال شرابي

مازلت أحنّ

وبالحنين أبوح

كغرف ناي حزين

على وجه الرّباب

وكر الثقافة

شعر : الشيخ عبد الستار الهاني

على الإضافة ما من جيد هربا
بكل زخم من الأبحاث قد جلبا
وكان منها حب الدرس مكتسبا
وبعد حين تولى راقصا طربا
صار اللذيد كأن أطمعتك الضرما
قفاز دارسها واستسهل الصعبا
فيها المكين وفيها سالك دربا
تزيد علمك شرحا ليس مضطربا
بما ينال وللآمال قد قربا
تطوي امتيازها على الإتحاف منسكبا
متى تجلت تجلّي الهم والكربا
وضم مجمه الأفذاذ والتجبا
من البحوث بما قد حقق السببا
أسفار درس تفيد الغمر والتجبا
فهو التكرم يعني مخلصا وأبا
لكي تراكم تنالوا في العلا رتبا
أن تسلموا ويكون الخير منقلبا
يشجع العلم والتثقيف والأدبا
فذا التشايط بدفع منهم وثبا

وكر الثقافة في "سليانة" دأبا
فذي الهلة وسط العام حافلة
وكم مواقع في التاريخ قد درست
حتى رأى سفرنا فانكب يحذقه
ومثل ذلك في الآداب مدركه
والفلسفات غموض القصد فارقتها
وذي القصائد ألوان ملونة
وللفلاحة وضع جد محترم
وكل قارئ سفر بها مغتبطا
وذي الصحافة هبت كي تقرضها
وجودة العرض أضفت سحر هبتها
ومحل الصيف قد دانت شوارده
يزيده كل عام خير مبتكر
والملتقى قد توالى من نتائجه
أن نخفل ببسيط الشعر من قبلي
إننا نشجعكم والفوز مطلبنا
وذي تحية بر كل غايته
ومرجبا بوزير الفكر في بلدي
والحاضرين وأهل الحفل أجمعهم

مدينة السّنا بل سللانة

شعر : علي سعيد بوزمطة

مدنة السّنا بل

جمللة اللّحلّا

بهمة نذله

تستقبل عشاقها

وتشدو بجمالها العنادل

ARCHIVE

<http://Archiveketa.sakhril.com>

دفاقة اللّحلّا

مفتوحة الأحضان

تستقطب العشاق

وتوحي بالآلحلّا

بنت الشمال الرّانية

إلى النجوم العالية

تبدو بعطف حانيه

تستقبل الأحباب

من رهوة متهاديه

مفتوحة الأبواب

سليانة يا غاليه

ARCHIVE

<http://Al-Itchaf.com>

بنت الشمال الحالمه

بين الحقول قائمه

بالغز أنت ناعمه

والخير والخصوبه
عشت ودمت سالمه
يا أرضنا الخصيبه
بك القلوب هائمه
يا منبع العذوبه
مدينة الجمال
والسحر والكمال
والحلم والخيال
يا غادة بهية
هيفاء في دلال
غزالة بريّة

يحضنها الشمال

كوردة ندية

سليلة الكرام

على مدى الأيام

يا واحة الإلهام

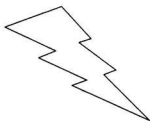
والشعر والأحمان

يا مراية السلام

يشدو بها الفنان

ولوحة فنية

نراهية الألوان



انبهار

شعر : البشير التلمودي

إلى صاد... جيم... عشقا ووفاء

الزوال الذي ضربني دون سابق إعلام...

...زعزعتني عني..

..هدّ كلّ كياني...

...ورمى بي وسط دوامة العذاب اللذيذ

تأتين هكذا كنسمة صيف مسائية...

تجتازين أسواري الشائكة...

تخرقين مناطق الملتهبة...

ترشين على جراحي القديمة...

رذاذ الحب الأزلي...

تنفخين في رمادي القديم...

توجحين نيران الوجد في عروقي الضامئة...

...وترحلين!

ماذا فعلت...

حتّى تغيري اتجاه بوصلي

حتّى أنبهر بجمالك السرمدي؟

وأغرق في عينيكِ الرائعتين...

أعانق وجهكِ الخمري...

وأرغمي جريحا على عتبات محرابكِ القدسي؟

ماذا فعلتِ حتى...

أسلم كل مفاتيح أسراري...

وعواظفي...

وهيامي...؟

من زرعك شمعة ملتهبة على دربي المنهار...

يا أعذب امرأة عرفت؟

لماذا عملتِ على حرق أشرعني؟

لماذا عملتِ على كسر أجنحتي؟

ماذا فعلتِ... حتى

أنبهر بعطركِ الفياض...

عطركِ الذي طوقني ليلة كاملة على بساط من

عذاب!

.....

يا آيتها الآتية من لا أعرف من أين؟

دعيني أستحمّ في شذاك...

حتى أتطهر عشقا...

وأعود إلى منابعي الأولى...

فأنت سفيني الضائعة...

وبساط أحلامي المجنونة...

ما أتمناه...

هو أن يكون الزلزال قد أصابك أنت أيضا...

وأثر فيك تأثيرا ساحرا...

وسبب لك أوجاعاً وردية...

فأنا...

أحبّ أن يجمعنا الأمل...

مثلاً يجمعنا الحب...

دعيني أنظر إليك يا حبيبي

يا أروع امرأة عرفت...

یا ہرکائی المنزلزل...

دعيني أشدَّ على يدك الناعمتين...

وأغرق في عمق عينيك الحلوتين...

وأرحل غير أنغام صوتك العذب...

دعيني أضْمَك بكلِّ قواي إلى صدري...

وأمرّ يدي على شعرك الممّليّ...

وأسكر برحيق شفتيك الرائعتين...

ليلة البارحة... نمت على جمر الحرمان
 والشوق إلى خيالك السّاحر...
 أعدتُ على قلبي كلّ ما قلناه من عبارات
 مجنونة...
 أعدت للمرة الألف... قبلتنا الخالدة...
 طواني سحرها...
 طار بي إلى حيث خيالك المسافر كالحلم..
 نحو عذاب عذب مبلّل بالدموع.
 ... يا آيتها السّاحرة...
 يا ملهمتي المسافرة...
 دعيني أحبك كما أشاء...
 http://Archivebeta.Sakhr.it.com
 دعيني ابحت عن نقطة للبدء..
 لأحبك كلّ يوم أكثر
 وما بعد الإنتهاء...
 والمستحيل هو أن نجهل...
 ما قبل البدء
 وما بعد الانتهاء...
 والمستحيل هو أن لا نلتقي
 ... لأنه الحبّ يا عزيزتي!...

أغنية أخرى لعاشقة لا تبوح

شعر : الهادي العثماني

مرحلت إلى ضفة العشق، عند انصاف الفضيحة

لدي من الحلم ما يكفي بعد

لأحياء بعض الأمان الجميلة

ولي بيتي ... عيناك ...

لست شرهدا،

ولست أخاف من الموت

لكن ...
ARCHIVE

لك وحدك كسر سهرت أصلي على مراحتيك

ليال طويلة

يتأثر عني الشوق مراحة نفسي

إذا ما سهوت

فألقاني جسما لروحي العليله

وكنت رسمت على صفحة القلب بصمة صدق

ليعرف هذا الفؤاد سبيله

وجئت إليك على عجل

أكتوي بالحرق الذي شب في
 ولي من قوا في القصيد حصان
 إذا أدمج الليل صار جموحا ...
 سمعت مع نمرسة العاشقين صهيله
 تعلمت أني، صباحا أغني
 وأحكي مساء لذات الجديلة
 وأنني أرسد باقة وورد
 وأنشر بعض الأمانى تبوح
 إذا وشحتها نجوم السماء
 ومرتدوها العندليب الوديع
 وانمرعها نمرسة ياسمين
 على شرفات الطفولة
 وأنني أوزع طهري وشعري
 وأحلام فجرى
 وأعزف للحب ...
 أنشودة مستحيلة



الحسناء والأحزان...

شعر: عبد الحميد العماري

جلست تسألني حسناء ما بي؟ ولم أغرق في بحر اكتئابي
ولم التحوال في أفق الأسى؟ ولم الإعراض دفء التصابي
ثم قالت وهي تدنوجاني كيف ترتاح إلى هجر الصحاب
وجهك المتعب ماذا خلفه؟! من دروب وشعاب وصعاب!!
كل ما حولك يدعوك إلى نشوة الخمر، إلى بسط الزرابي
كل ما فيك جميل رائع بهر العين ويفري باقتراب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دغدغت في القلب أحلام الصبا وتلفتني بالفاظ عذاب
قلت يا حسناء لا تنخدعي كل ما أبصرت أطياف سراب
قد فطمت القلب عن كل هوى وصرفت الثغر عن رشف الرضاب
كم تمنني كعاب ناهد فتلهبت بحزني وعذابني
أنا جرح مطبق أجفله فاحذري أن تنكبي جرح الصاب
إن دنياي التي أصبحها أرضعتني كل ممزوج بصاب
لم تواجهني بصبح بي بل تلتقني بغيم وسحاب
كل ما حولي ظلام دامس كيف أصبو لفسيحات الرحاب؟!
ليس ييفيك عن الدهر كمن ذاق ذل اليتيم في عز الشباب

ذهب الغالي فكانت قصتي مع أحزاني وأسباب اغترابي
 وافقدت الأنس والشدو فأرسي قارب الأحزان والشجو بياي
 فأنا أقبع في دائرتي شارقا من موج دمعي بشرابي
 أنا لا أستطيع في دواتي حبس أحزاني ولا خنق اكتئابي
 رقة الاحساس في عاطفتي أرهقت صبري وانستي صوابي
 لا تسليني بضحك إنما بكاء أنقذيني من عبابي



مالك الحزين يتسم أخيراً

بقلم : محمد الزينو السلوم

- سوريا -

"بسمه على وجه مالك الحزين" مجموعة قصصية صدرت مؤخراً للقاص المبدع "محمد حجاج" ضمن سلسلة أصوات معاصرة، وجاءت في 90 صفحة من القطع المتوسط، وبغلاف أنيق ملون، عليه لوحة فنية معبرة للفنان الايطالي "جورجيو دي كيريكو"، مع كلمة للناقد الكبير "محمد عبد الرزاق" على الغلاف الأخير للمجموعة.

و كنت في الحقيقة قد قرأت للكاتب مجموعته القصصية السابقة "ابتهامة في وجه الربيع" فحذبتني بجديتها وعمقها وفنيتها، إلا أن القاص يفاجئنا في مجموعته الجديدة بتطوير أكثر وتجدد لأسلوبه الفني، فهو هنا يوجه عناية خاصة إلى الوصف الدقيق والتصوير المعبر، ويمزج ذلك بالمونولوج الداخلي، كما أن الحوار عنده مغلف في أكثر حالاته بالضبابية التي تصل أحيانا إلى ما يشبه الغموض، مما يضفي على قصص المجموعة مزيدا من عوامل التشويق والإثارة، إضافة إلى استخدامه لغة رقيقة شفافة تشي بأن القاص كان - وربما لا يزال - يتعاطى فن الشعر، حتى أننا يمكننا أن نرى لغة السرد عنده وقد تحولت أحيانا، وفي لحظات من الاستغراق الإبداعي إلى قصائد حقيقية تمتلك كل خصائص الفن الشعري. كما تجدد الإشارة إلى أن قصص هذه المجموعة وهي على التوالي: المرايا-بسمه على وجه مالك الحزين-الزلال- الفجوات-

تراكمات. تمتد من حيث تواريخ كتابتها على مساحة زمنية عريضة، ما بين عامي 1977-1998. وبالرغم مما احتوته هذه القصص من عمق وحساسية فنية راقية وأسلوب رائع، كقاسم مشترك بينها، إلا أن كل واحدة منها تحتفظ بتمييزها وطابعها ورؤيتها ومذاقها الخاص.

ففي القصة الأولى تقوم "المرايا"، وذلك هو عنوانها بكشف وتأكيد حالات التغيير، التي حدثت جسدياً لبطل القصة، من أثر تداعيات الزمن ومروره، هذه التغييرات التي كانت قد وضحت في عيون الآخرين قبل أن يتعرف عليها هو نفسه، وتلك إحدى مفارقات حياتنا المادية في هذه الدنيا، أن نرى الآخرين قبل أن نرى أنفسنا. وتبدأ القصة بلقاء عابر بين رفيقين في وسائل النقل في المدينة الكبيرة، ويكتشفان مصادفة أنهما كانا زميلين في الدراسة في الجامعة، ويتطور الحدث تلقائياً، وهناك نقاط تحسب لصالح القاص فيما يتعلق بالتلون والتنوع في استخدام المرايا وتوظيفها بصورة فنية للتعبير عن الحالات النفسية المتغيرة لدى البطل، فمرة تتعدد وأخرى تلون وثالثة تنكسر "ضرورة عندي أن تنكسر كل المرأة، وأنا أضرب كل جزء منها بمحور ثقيل أراه اللحظة في يدي وزجاج المرأة يتفتت ويتطاير". وكأنه يريد هنا أن يصب جام غضبه على تلك المرايا.

أما في قصة "بسمة على وجه مالك الحزين، فإننا نلمح مجرى نهر النيل يتمدد فوق الأرض كمرأة هائلة تنعكس عليها حالة الوجود المحيط، من برودة ورياح وغيوم و عثمة وبروق ورجود وأمطار

وأوحال، حتى أن ساعة الفناء ثملت وتعطلت دقائقها "فأنحسر الناس ليتواوا وراء الجدران، وراحوا ينخرطون في فرشهم ويتدثرون بأغظيتهم" أما رواى القصة فإنه قد أوى إلى فراشه وتشرنق بغطاءه وراح يحلم بإشراق الشمس، إلا أنه حين استيقظ من نومه راح يردد:

بقليل من صبر

وأناة

ستعود الشمس... وتشرق في يوم

وستملأ هذي الدنيا نوراً

...وحياة

وستغسل بالضوء الذهبي

وجه الأرض الأسمر

وأنا في هذا اليوم... فرحاً سأكون

وأنا أتملى... آملاً وجداني وغيوبي

من انهار الضوء"

وفي قصة "الزوال" فإن الكاتب قد استخدم حيلة المصعد المتحرك، لينقل رواى القصة إلى أعلى، ليتعرف على حالات قاطني البناية ممن يعرف ولا يعرف: تلك التي تقيم حفل زفاف لتزوج للمرة الخامسة، وذلك الذي يحتفل بعودته توا من الأراضي المقدسة ربما للمرة الرابعة، ولتلك التي تسربلت بالسواد وجلست تتقبل العزاء في طفلها ووحيدها، إلا أن المصعد يعلو بتصاعده المستمر يروى القصة إلى مناطق مجهولة،

وإذ به يخرج عن حوزة البناية كلها منطلقاً به بعيداً عن إطار المكان بل والزمان أيضاً، ثم يتأرجح به - من جراء ذلك الزلزال الذي حدث في أكتوبر - مطوّفاً بين أحداث ومشاهد ترجع في الزمن إلى الوراء لآلاف السنين بدءاً من "ميناً" موحد القطرين وباني مدينة "منف" عاصمة مصر الموحدة، ثم مشهد بناء الهرم الأكبر... ثم يجيء التركيز على تلك الموقعة الحربية "امبابة" أو "الأهرام" والتي دخل الفرنسيون على إثرها مدينة "القاهرة" أثناء حملتهم الشهيرة على مصر.

أما في قصة "الفجوات" محور هذه المجموعة ودرة عقدها فنياً، فإن بطل القصة الذي كان نافرماً من الفجوات، وأبي أن يركن - كالأخرين - إلى واحدة منها، بل بدأ رحلته الطويلة مبتعداً عنها هارباً منها، إنما هو في الحقيقة يسبح ضد التيار، ورحلته هذه محكومة عليها بالفشل بمنطق الأحداث وينصر كلمات تلك النصيحة التي أسديت إليه والتي رقيت إلى درجة القول المأثور بالنسبة له وشكلت جزءاً من تراثه الوجداني "حاول بكل ما تستطيع... بل بأكثر مما تستطيع من أجل ألا تسقط في الفجوة"، أي أن كل ما يستطيعه لا يكفي لنجاته من السقوط في الفجوة، ومطلوب له هروباً لم تعد ذات جدوى "وقدماي تتحركان إلى الأمام، إلا أنهما لا تمضيان فيها، يبدو لي إلى الأمام، فالمكان كل المكان من حولي يتحرك عائداً، والمشاهد من حولي تعود وتنقر، مؤكدة لي أنها ليست مشاهد جديدة، وأنها مناظر معادة، وأتى قد سبق لي أن رأيتها مرات ومرات".

وتأتي إلى خاتمة القصص "تراكمات" وبطلها الذي يبدو أن المهوم قد تراكم في وجدانه فأقضت مضجعه ليلاً، وحرمة من المهوم والنوم في مسكنه ظهراً حتى أنه عزَّ عليه أن يجد فيه أية مدعاة للارتياح، فخرج منه باحثاً عن يفضي إليه بمهمومه. نهر النيل أو صديق - دون جدوى، وحينما عاد ليلاً بائساً بائساً بعد أن أضناه البحث والتحوال، ولم يعد له رجاء من يومه إلا في لحظات يلقي فيها جسده على الفراش لينام، لم يستطع حتى أن يدخل مسكنه، ذلك أن شبحاً كان قد احتله بدلاً منه ووقف أمامه يسد فراغ المدخل تماماً "وأنا لا زال لدي رغبة في أن أدخل وأنام، وهو لا يزال يتنامى، كانت الرؤى على مرايا عيوني تعكس اهتزازاً وتذبذباً فيما حولي، ويبدو أنه - الشيخ - قد بدأ يتقدم بالفعل ناحيتي، حتى كادت ناريتة أن تفتح بشرة وجهي، فحذبتني العزيزة إلى الورا، كنت أراجع تلقائياً في مواجهة تقدم الشبح، حتى تعثرت قدمي في مهاوي ذبحات السلم، وهأنذا أتساقط، أسقط، جذبتني العزيزة مرة ثانية إلى أعلى ثم إلى الورا، وهأنذا أنزل أنزلًا مرتدًا نحو المدخل.

قصص تقرأ أكثر من مرة، بل هي جديرة بالقراءة والتأمل كما يقول استاذنا "محمد محمود عبد الرزاق" فهي قصص تتداخل مع الحداثة وتتفاعل معها بدرجة رفيعة سواء من حيث الشكل أو المحتوى. فالكاتب يوظف معطياته الإبداعية - وخاصة عنصر الخيال الذي يستخدم بجرأة مقننة - بأساسية فنية عالية وبصورة أخاذة للتعبير مما يحسه وما يريد

أن ينقله إلى قارئه، أما من حيث أسلوب الصياغة فإن الكاتب قد فتح الباب على مصراعيه للغة شعرية راقية من خلال التصوير والوصف الدقيق الشفاف المعبر، وفيما يتعلق بالعاطفية والذهنية فقد كانتا تسيران جنباً إلى جنب في خطين متوازيين وفي سياق واحد تقريبا، وكان من الممكن أن تطغى الذهنية عل العاطفة لو لا دقة الوصف وإيجاءات التصوير والذي لا شك فيه، أن هناك قفزة نوعية في الأسلوب والحساسية الفنيّة و الفضاءات الرؤيوية، سجلها القاص "محمد حجاج" في مجموعته القصصية هذه "بسمه على مالك الحزين" والتي ترتقي بحق إلى مصاف تلك الكتابات الجادة المتميّزة والعميقة، التي تركت وتترك بصماتها واضحة على فن الإبداع القصصي في مصر والوطن العربي.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

